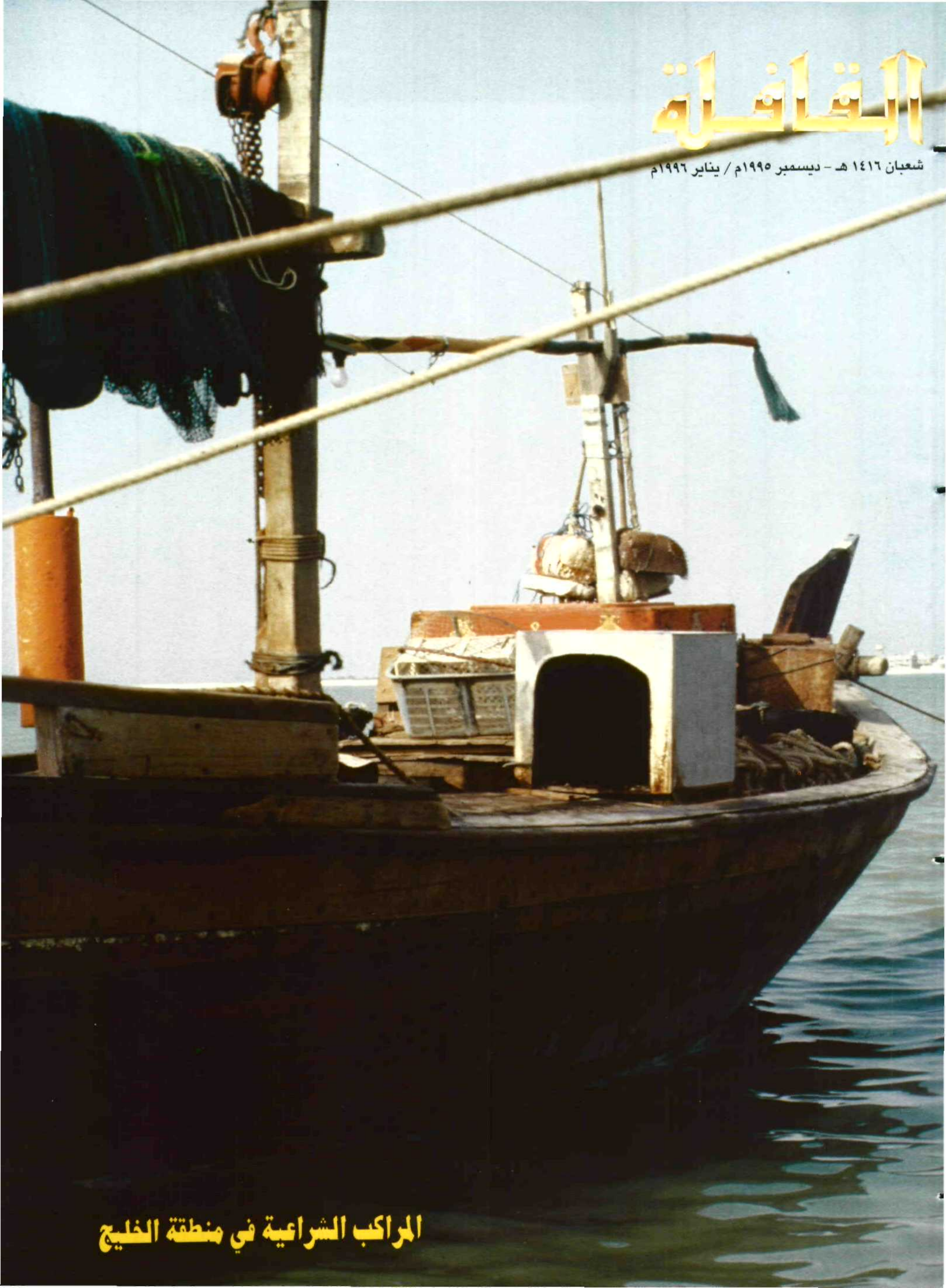

القافلة
شعبان ١٤١٦ هـ - ديسمبر ١٩٩٥م / يناير ١٩٩٦م
المراكب الشراعية في منطقة الخليج

بسم الله الرحمن الرحيم

القافلة
AL - QAFILAH

العدد الثامن - المجلد الرابع والاربعون

December 1995 - January 1996 ISSN 1319 - 0547 ردمد

شعبان ١٤١٦ هـ

في هذا العدد



المدير العام
فيصل محمد البسام

المدير المسؤول
محمد عبد الحميد طحلاوي

رئيس التحرير
عبد الله خالد الخالد

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
- كل ما ينشر في القافلة يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها.
- لا يجوز نشر الموضوعات والصور التي تظهر في القافلة إلا بإذن خطي من هيئة التحرير.
- لا تقبل القافلة إلا أصول الموضوعات التي لم يسبق نشرها.

العنوان

أرامكو السعودية
صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران ٣١٣١١
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٨٧٥٦٣٩٢ - ٨٧٤٠٧٠٦
فاكس: ٨٧٣٣٣٣٦

الغلاف



تصوير: أرامكو السعودية

مجلة ثقافية تصدر شهرياً عن إدارة العلاقات العامة في شركة ارامكو السعودية لموظفيها، توزع مجاناً

تصميم وطباعة مطابع التريكي - الدمام
Designed and Printed by Altraiki Printing Press, Dammam

الإلتقاء بين
الإسلام ومواثيق حقوق الإنسان

بقلم : د. أحمد عبد الرحمن - مصر

كثر في السنوات الاخيرة تداول تعبيرات مثل «الكونية الجديدة» ، و«العالم الواحد»، و «النظام العالمي الجديد»، التي تنطوي ضمنا على القول بوجود التقاء بين الثقافات العالمية، إن هذه المفاهيم ليست جديدة؛ وأنما الجديد هو تنشيطها، وبعثها بقوة على الساحة الفكرية والإعلامية العالمية. فالمبادئ المشتركة ، الثابتة، المطلقة، التي لاتتغير بتغير الزمان والمكان، ولابتباين الثقافات والأعراق، معروفة في تاريخ الفكر الانساني. والعدل أوضح مثال لذلك. فما من أمة إلا جعلته غايتها؛ ومامن أمة إلا سعت اليه وفاخرت باحتضانها له.

التطابق والتعارض :

لابد أن نلاحظ منذ البداية أن رقعة الاتفاق بين الأسلام ومواثيق حقوق الانسان لايمكن أن تصل إلى حد التطابق، وعلى هذا يجب الا ينسينا الحديث عن «نقاط الألتقاء» وجود «نقاط الاختلاف والتعارض»، وهي التي يقر بوجودها الميثاق نفسه في الاعلان المناهض للتحيز العنصري، الصادر في ١٩٧٨/١١/١٧م، عن المؤتمر الدولي العام للتربية والعلوم والثقافة، في مادته رقم -١.

والأتفاق والأختلاف مطلوبان جميعا؛ فالأتفاق يقرب بين الأمم المختلفة؛ ويمهد الأرض للعمل المشترك؛ والأختلاف يسمح لكل أمة أن تبرز شخصيتها المتميزة.

وحدة البشر :

لعل أصل نقاط الألتقاء وأساسها الحيوي هو وحدة البشر. وقد ورد الإعلان المناهض للتحيز العنصري: «ينتمي البشر جميعا إلى نوع واحد، وينحدرون من أصل مشترك واحد وهم يولدون متساوين في الكرامة والحقوق، ويشكلون جميعا جزءا من الانسانية». وهذا يذكرنا بقول الله عز وجل: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً »(١) وبحديث الرسول صلى الله عليه وسلم القائل:« يايها الناس، الا ان ربكم واحد، وان اباكم واحد، الا لافضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر ، ولا لأحمر على أسود، الا بالتقوى، الا هل بلّغت؟ قالوا : نعم، ليبلّغ الشاهد الغائب». (٢) فهنا أذن نقطة التقاء مهمة؛ وأن كانت آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله علية وسلم، ترسى لوحدة البشر اساسا مكينا في العقيدة، ووحدانية الرب، جل جلاله، وتقرير صلات الرحم بين البشر، وتفاضلهم على أساس التقوى، بصرف النظر عن العرق أو العنصر أو اللون. وفي الوقت نفسه يبين القرآن الكريم أن التباين العنصري له حكمة وغاية، هي التعارف بين البشر، فيقول: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ».(٣) وبهذا محا كل سند للتحيز العنصري قبل المواثيق الدولية بأربعة عشر قرنا من الزمان فثمة أذن وحدة للبشر، وثمة تباين بينهم؛ لكن هذا التباين لايجوز ان يتخذ اساسا للتميز أو الأستعلاء لجنس على جنس، كما حدث في نظريات حديثة عديدة.

ويقرر الاعلان المذكور ان لكل امة او جماعة : «هويتها الثقافية الخاصة التي تميزها داخل الاطارين الوطني والدولي. وإن لكل جماعة أن تقرر بنفسها ، وبملء حريتها، الحفاظ على القيم التي تعتبرها من المقومات الاساسية لهويتها..»(٤) وهذه نقطة التقاء جزئي؛ فالقرآن الكريم يبين بوضوح إن اراده الله تعالى مضت ألا يكون الناس أمة واحدة، كما يقول سبحانه : « وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ » (٥) وقد ترك الاسلام الحرية لأهل الكتاب ليظلوا على دينهم، الذي هو جوهر ثقافتهم الخاصة، وحرّم اكراههم على اعتناق الاسلام، في قوله سبحانه : « لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ » (٦).

فالإسلام يلتقي والميثاق في هذه الحدود. لكن الاسلام يحرم الوثنية والألحاد في المجتمع المسلم. ومن المؤسف أن يبيحهما الميثاق؛ فهذه نقطة اختلاف، والسؤال هو : كيف تحافظ المواثيق الدولية على كرامة البشر، التي تكرر الاعراب عن احترامها بلا انقطاع ، في كل الاعلانات والاتفاقيات والتوصيات، في الوقت الذي تجيز فيه انحدار الانسان إلى مهاوي الالحاد أو الوثنية؟ ان هذه المواثيق تتناقض مع نفسها؛ والاسلام يأبي ذلك.

حقوق الطفل :

تعد حقوق الطفل، نقطة التقاء بين الإسلام والمواثيق الدولية، مع امتياز الاسلام في توفير الضمانات التي تكفل للأطفال حقوقهم .فلقد صدر إعلان حقوق الطفل في ١٩٥٩/١١/٢٠؛ ثم صدرت اتفاقية حقوق الطفل في شهر نوفمبر سنة ١٩٨٩، لتتدارك بعض نواقص هذا الاعلان، الذي يقرر أنه «لما كان الطفل يحتاج - بسبب عدم نضجه الجسمي والعقلي- الى حماية وعناية خاصة، مثل الحماية القانونية المناسبة(٧)، سواء قبل مولده أو بعده. وبما أن للطفل على الانسانية ان تمنحه خير مالديها، فان الجمعية العامة تصدر رسميا«اعلان حقوق الطفل» هذا لتمكينه من التمتع بطفولة سعيدة ينعم فيها - لخيره وخير المجتمع- بالحقوق والحريات المقررة في هذا الاعلان، وتدعو الآباء والأمهات، والرجال والنساء. الى الاعتراف بهذه الحقوق». ثم طالب الاعلان بأن يكون : «للطفل منذ مولده اسم وجنسية». (المبدأ الثالث). والاسلام اوجب الحماية والعناية الشرعيتين للأطفال قبل مولدهم، بل قبل الزواج، حين شرع اختيار الزوجة الصالحة، وجعل للجنين دية، وجرّم الاجهاض، واوجب نسبه لأبيه وامه، ونظم حياته، من حيث الطعام والكساء والسكن ، والتربية؛ وحتى الرضاعة نزل فيها قرآن، فقال تعالى :

«وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ» (٨)

وشرع الاسلام لحماية الطفل في حالة فقدان احد والديه أو كليهما؛ وحفظ له ماله في ذمة وليه بتشريعات محددة صارمة، واخلاقيات رفيعة، وحذر بشدة من اكل ماله في عدد من الآيات (٩). ونظم الاسلام الحنيف علاقة الرجال بالنساء، ضمن شريعة الزواج، بحيث ينعدم امكان انجاب اطفال لايعرف لهم آباء، فتضيع عليهم حقوقهم في التمتع بالأبوة الحانية، والأسرة الحاضنة، والعواطف الدافئة؛ وهذا هو ماأغفله الميثاق، مكتفيا بالمطالبة لهم باسم وجنسية! وفي « اتفاقية حق الطفل» وردت نصوص كثيرة توافق شريعة الاسلام في صيانة الاطفال من جميع النواحي الحياتية والروحية؛ وتحدثت هذه النصوص عن واجبات الوالدين وحقوقهما ، (المادة ٥)، وعن حق الطفل في الحفاظ على هويته (المادة٨). وعدم فصل الطفل عن والديه (المادة ٩)، وحق لم شمل الأسرة (المادة ١٠)، وحق الطفل في التمتع بعلاقات شخصية مباشرة بوالديه اذا اقام والداه في دولتين مختلفتين، (المادة ٢/١٠)؛ وعلى الرغم من هذا ، اغفلت التدابير التشريعية والاخلاقية التي لابد منها لمنع تكاثر اعداد الاطفال من ذوى الوالد الواحد One Parent Children ، وهم ابناء السفاح الذين لايعرف لهم آباء، ويربون لدى الأمهات، أو في مؤسسات ويذوقون مرارات الحرمان .

الأسرة :

يقرر الميثاق حقوقا للأسرة؛ ويتفق في معظمها مع شريعة الاسلام. فقد صدرت توصية بشأن الرضا بالزواج، والحد الادنى لسنّ الزواج، وتسجيل عقود الزواج، عن الجمعية العامة يوم ١٩٦٥/١١/١، جاء في المبدأ الأول منها، الفقرة (أ) انه : «لاينعقد الزواج قانونيا الا برضا كلا الطرفين رضاء كاملا لا اكراه فيه وباعرابهما عنه بشخصيهما، بعد تأمين العلانية اللازمة، وبحضور السلطة المختصة بعقد الزواج، وبحضور شهود، وفقا لأحكام القانون».

و«الرضا» شرط لصحة النكاح، ولصحة كل التعاقدات في الاسلام؛ وأي اكراه في ذلك يبطل العقد. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « استأمروا النساء في ابضاعهن، فان البكر تستحي فتسكت، فهو اذنها» (١٠).

وبصفة عامة، ليس في الشريعة الاسلامية مايمنع اتخاذ اجراءات معينة تكفل حقوق الزوج والزوجة، والاولاد، وتنظم شؤون النكاح، وتضبطها، كتسجيل عقود الزواج، ووجود مأمور أو مأذون يتحقق من شخصية الزوجين، وصحة الوكالة أو الولاية، وغير ذلك من المسائل، ثم يرفع الى الجهات الرسمية لحفظه، والرجوع اليه عند اللزوم. فهذه اذن نقاط التقاء بين الاسلام ومواثيق حقوق الانسان.

تحريم الزنا :

والاسلام كما نعلم جميعا يحرم تحريما باتا كل ضروب الزنا واللواط والدعارة والقوادة. والقرآن الكريم يحرم مجرد الاقتراب من الزنا، فيقول: « وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا » (١١) ولايدع اي سبيل لاتصال الرجال بالنساء الا عن طريق الزواج الذي يكفل حقوق الزوجين والاولاد، والمجتمع، وينظف البيئة الاسلامية من الفواحش « مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ» (١٢) ونعلم جميعا ان الاسلام يشرع، وييسر الزواج، والاشباع

الجنسي المشروع، كما انه يعاقب على الزنا بأقسى العقوبات؛ وقبل ذلك يضع التدابير الوقائية التي تحول دون المسلمين واقتراف الفواحش فيأمر بغض البصر، والخمار للنساء ، ويمنع الخلوة ويبيح تعدد الزوجات، والطلاق عند استحالة المعاشرة السديدة، وينهي عن عضل النساء وعن ظلمهن. وبهذا ينشيء مجتمعا سليما، قادرا على تشييد الاسرة المتينة المتماسكة (١٣) .

وأما الميثاق فهو يترك البغاء والدعارة والزنا (الاحترافي وغيره) دون حظر أو تحريم. ولذلك اخفق في تنظيف المجتمعات الغربية من الدعارة؛ وتبعا لذلك تهدمت الاسر، وكثر ابناء السفاح، الذين اصبحوا اخصب بيئة للجريمة. ولهذا اقول ان نقاط الاتفاق قد تتحول الى نقاط اختلاف بسبب التحديدات، أو التدابير القانونية. ولايسعنا هنا ان نقدم الاحصاءات المتاحة الدالة على هذا، لأن المجال هنا هو «المبادئ» فقط، لا التطبيق والتنفيذ.

إستئصال الجوع :

هذه نقطة اتفاق اخرى بين الاسلام ومواثيق حقوق الانسان، واعني بذلك: التحرر من الجوع وسوء التغذية. وقد اعتمد لذلك اعلان عالمي يوم ١٩٧٤/١١/١٦، تقول المادة الاولى منه: «لكل رجل وامرأة وطفل حق غير قابل للتصرف، في ان يتحرر من الجوع وسوء التغذية، لكي ينمي قدراته الجسدية والعقلية انماء كاملا ويحافظ عليها..». وتقول المادة الثانية: «من المسؤوليات الاساسية للحكومات ان تعمل معا لزيادة انتاج الاغذية وتوزيعها على نحو اكثر انصافا وفعالية.. ».

والاسلام اقر هذا المبدأ، واقر نظما اسلامية لتحقيقه، وهي : زيادة انتاج الغذاء، ثم توزيعه توزيعا عادلا منصفا، وكفالة «سد الخلات» وهذاالتعبير الاسلامي عن استئصال الجوع يعني: الوفاء بالحاجات الضرورية لكل افراد المجتمع، عن طريق زيادة الانتاج، وعدالة التوزيع، والتكافل الاجتماعي الاسلامي- والقرآن الكريم يبيّن ان الجوع عقوبة الهية، تحل بالعباد لتمردهم وعصيانهم؛ قال تعالى : « وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ » (١٤) وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اشراف قريش الظالمين المعتدين المتجبرين، فقال : «اللهم اشدد وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم سنين كسنين يوسف». (١٥) والجوع محنة يبتلى بها العباد؛ فيقول الحق تبارك وتعالى للمؤمنين: « وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ » (١٦)

ويحث الاسلام على اعمار الارض، بكل وسائل الاعمار المشروعة؛ فاعمار الارض غاية من غايات الخلق؛ فيقول جل جلاله: « هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا » (١٧) كما جاء على لسان صالح عليه السلام لقومه ثمود. ويقول نبينا الكريم صلوات الله عليه : «ان قامت القيامة وبيد احدكم فسيلة فليزرعها». وهذا تصوير بليغ مشرق لحرصه صلي الله عليه وسلم على كثرة الزرع ومايتنجه من اغذية وخيرات للانسان.

وأما التوزيع العادل فالاسلام يعطي لكل فرد ثمرة عمله؛ فذلك هو العدل؛ لقوله تعالى : « مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا » (١٨) وأما غير العاملين من الأيتام والأرامل والشيوخ والمعوقين، فان التكافل الاسلامي يستأصل الجوع بينهم، ويسد خلاتهم عن طريق نفقات الاقارب الواجبة، والزكاة، والصدقات، والكفارات، وغير ذلك مما يطول شرحه» (١٩).

ورغم ان الاسلام يلتقي مع المواثيق الدولية في هذه المسألة الا ان النظم الاسلامية لاستئصال الجوع، تختلف عن النظم الوضعية اختلافا جذريا.

تسخير العلم لصالح البشرية:

تحدث الميثاق عن حق الانسان في استخدام التقدم العلمي والتقاني لصالحه، لاضدها؛ واصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة اعلانا في ١٩٧٥/١١/١٠، أوجبت الفقرة رقم ١ فيه : «على جميع الدول ان تنهض بالتعاون الدولي لضمان استخدام نتائج التطورات العلمية والتقانية لصالح تدعيم السلم والامن الدوليين، والحرية والاستقلال، وكذلك لغرض الانماء الاقتصادي والاجتماعي للشعوب واعمال حقوق الانسان وحرياته وفقا لميثاق الأمم المتحدة».

وهذا الاعلان انعكاس لظروف القرن الحالي التي استعملت فيها الأسلحة الذرية، وغير الذرية، لابادة الشعوب، وتدمير المدن، وإتلاف البيئة الارضية؛ ولقد احصى «برجنسكي احد مستشاري الامن القومي الامريكي حالات القتل بين العسكريين والمدنيين في هذا القرن فبلغت ١٧٥ (مائة وخمسة وسبعين) مليون من البشر! (٢٠) وضجت الدوائر العلمية والادبية والفنية بالشكوى ! وصدرت الكتب العديدة تدين ذلك الاستخدام السفيه لنتائج التقدم العلمي، دون ضبطه بقيم اخلاقية ثابتة وتشريعات حاسمة.

وهذه نقطة اتفاق بين الاسلام وميثاق حقوق الانسان. فذلك القتل العشوائي بالاسلحة الحديثة، وذلك التخريب الشامل، دون تمييز بين مقاتل ومدني، أو بين رجال

ونساء، او صغار وكبار، يحرمه الإسلام، فقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن قتل النساء والولدان، وقال في امرأة مقتولة: «ماكانت هذه لتقاتل».

وكان صلى الله عليه وسلم اذا بعث جيوشا يقول لهم: «لاتقتلوا اصحاب الصوامع». ونهى عليه السلام عن حرق العدو بالنار، وقال : «ان قدرتم عليه فاقتلوه، ولاتحرقوه بالنار فانه لايعذب بالنار الا رب النار». وبعض الاسلحة الحديثة تشعل النيران في المدن وتسبب حرائق هائلة تأتي على الاخضر واليابس!

كذلك يعلمنا الإسلام الحفاظ على الاشجار والزروع وعدم اتلافها في اثناء الحرب الا بقدر وللضرورات الحربية. كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في حالتي «بني النضير» و«ثقيف» حين امر بقطع بعض نخيلهم، لحملهم على الخروج من الحصون والدفاع عن النخيل. وقد نزل القرآن الكريم بالاذن بذلك فقال تعالى : «مَاقَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْتَرَكْتُمُوهَاقَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ» (٢١) وظلت القاعدة العامة : «لاتقطعن شجرا، ولاتخربن عامرا، كما جاء في وصية ابي بكر الصديق، رضي الله عنه، لجيش المسلمين».

وصون السلم العالمي يتحقق باقامة العدل بين امم الارض، وردع المعتدين. والظاهر ان البشرية ماتزال بعيدة عن هذا الامل، ولذلك يعاني العالم من الحروب والتوترات، واستخدام الاسلحة الفتاكة لقسر الشعوب على التفريط في حقوقها وحرياتها، كما يحدث الآن في كثير من بقاع العالم.

الحق الدولي في التصحيح :

هذه نقطة اتفاق بين الإسلام وميثاق حقوق الانسان ، وقد صدرت الاتفاقية الخاصة بهذا الحق في ١٩٥٢/١٢/١٦م، وهي تقرر حق شعوب العالم في الحصول على المعلومات الصحيحة الموثقة الكاملة بعضها عن بعض، باعتبار ان نشر المعلومات المغلوطة عن الشعوب في بلدان اخرى، يشوه صورتها، ويسيء للعلاقات بينها، وقد يكون سببا في اشعال الحروب، وتأجيج الكراهية بين الشعوب .

وهذه الاتفاقية تهتم بالمعلومات التي تنقلها وكالات الانباء ضمن الرسائل الاخبارية وهو نقص لامسوغ له، والواجب تعميم هذا الحق ليشمل كل معلومة مغلوطة في كل الكتب، والكتب الدراسية خاصة، وفي الفنون المختلفة التي تشكل صورة الشعوب في اذهان الناس، ونحن المسلمين نكتوي بنيران هذه المغالطات التي تدرّس في الغرب!

والمادة الثانية من هذه الاتفاقية تنص على انه : «حين يثبت ان المعلومات التي نشروها أو نقلوها في بعض رسائلهم الاخبارية كانت كاذبة أو محرفة، ان يأخذو بالعرف المعتاد فينقلوا بالوسائل ذاتها، أو ينشروا، تصحيحا للرسالة الاخبارية المعينة» و« من حق كل دولة متعاقدة، اذا ادعت وجود كذب أو تحريف في رسالة أخبارية نقلها من بلد الى آخر مراسلون أو وكالات انباء. وكان من شأنها الإضرار بالعلاقات مع دول اخرى أو بمكانتها أو بكرامتها الوطنية، أن تعرض الوقائع من وجهة نظرها في رسالة...» لتصحيح الرسالة الكاذبة.

والإسلام يوجب الصدق، ويدين الكذب، والافتراء والبهتان، والرسائل الاخبارية الكاذبة لها خطرها الكبير، لأنها تنشر على نطاق واسع، والاسلام يوجب تصحيح الكذب ودحضه، بكل وسيلة ممكنة، لأن نتائجه كلها محرمة، كالظلم والاضرار بالأبرياء، والوقيعة بين الناس. يقول الحق تبارك وتعالى : « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ » (٢٢) وهذا الامر يتضمن واجبين : أن يكون المؤمنون صادقين، وأن يكونوا عونا للصادقين.

والإسلام يفصّل القول في ضروب الكذب: كالافتراء، والبهتان، وشهادة الزور، والنفاق، والافك، وهو يجرمها جميعا. وفي الفقه الاسلامي ان الكاذب مسؤول عن نتائج كذبه التي تلحق الضرر بالآخرين في اعراضهم واموالهم، بل ان بعض الفقهاء افتى بقتله في زمن الفتنة.(٢٣)

وعلى هذا يمكن أن نؤكد إن الاسلام يتفق مع هذه الاتفاقية، لكنه لايجيز قصر هذا الحق على هذا المجال الضيق وحده، ويفرض حق التصحيح في كل المجالات، صيانة للحق والعلم.

مسائل اخرى :

من نقاط الأتفاق الاخرى حق الدول في السيادة على مواردها الطبيعية، وأعلانات واتفاقيات عديدة لمناهضة العنصرية، وحقوق اللاجئين. واتفاقيات مناهضة جرائم الحرب، ومطاردة مجرميها ومحاكمتهم، وحق النساء والاطفال في الحماية ضد اخطار الحروب، وحق السجناء، وحمايتهم من التعذيب والاهانة والحط من الكرامة، وغير ذلك.

وخلاصة القول، بناء على هذه الدراسة، ان نقاط الاتفاق تشغل رقعة كبيرة ، تسمح لنا نحن المسلمين بمشاركة العالم في كثير من آماله وغاياته، وان مسائل الاختلاف والتباين موجودة، وهي تضمن لنا ، ولغيرنا، الحفاظ على تميزنا الفكري والتشريعي والاخلاقي ■

الهوامش

١- النساء /١

٢ - القرطبي، الجامع لاحكام القران، ط دار الشعب، ج٧ص ١٦١- ١٦٢

٣ - الحجرات /١٣

٤ - المادة الخامسة من ذلك الاعلان

٥ - هود /١١٨

٦ - البقرة /٢٥٦

٧ - هكذا العبارة في الترجمة العربية

٨ - البقرة /٢٣٣

٩ - من ذلك قوله تعالى «ولاتقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده» (الاسراء /٣٤)

١٠ - متفق عليه

١١ - الاسراء /٣٢

١٢ - الانعام /١٥١

١٣ - التدابير الوقائية في الاسلام، للكاتب، نشر دار الاعتصام بالقاهرة سنة ١٩٩٠، ص٣٩

١٤ - النحل /١١٢

١٥ - القرطبي، الجامع ، ج٥ص ٣٨١.

١٦ - البقرة /١٥٥

١٧ - هود /٦١

١٨ - فصلت /٤٦

١٩ - المحلى لابن حزم، ج٦ص١٥٩

٢٠ - برجنسكي، Out Of Control' P.17,New York, 1993

٢١ - الحشر /٥، وانظر فتح الباري، حديث رقم ٤٠٢٨ كتاب المغازي، وسيرة ابن هشام، ج٢ص ٤٨٣- ٤٨٤

٢٢ - التوبة /١١٩.

٢٣ - ابو حنيفة، للشيخ ابو زهرة،ص ٣٥٥

قصيدتان

شعر : ياسين طه حافظ - العراق

كوُخ شهاب *

رقَدَت منذ أزمنة دون أنْ
ترفعَ الرأسَ للريحِ
أو تتوجّسَ من طارئ
أو تبوحَ بأسرارها لأَحدْ.
هي قفراءُ يابسة رجع النهرُ عنها،
استدار
فطوت ساعداً وغفت في تخوم الأبد.
مرّ هذا الغريب فأوقفه عريُها
وأقام على حدّها كوخَه
فتراعش في الليل فانوسُه
وانتهى صمتها الأبدي
وبدت قامة متفرّدة
رسمت في الفراغ الى الافق
شارة درب أمين الى عالمٍ وبلد.
غير ان الغروب العجوز يؤجّج خلف التلال حرائقه،
شبحٌ قلق في المتاه يقلب أشياءهُ:
هو أطفأ موقدهُ،
ثم لفّ عباءتهُ وابتعَدْ.
قلق غامض يمسك الروح قبل المساءِ
إلى أين يمضي شهاب؟
هو والكوخ مغتربان وبينهما عزلةٌ،
نافرانِ
فلا الكوخ يرضى به صاحباً يستريحُ إليهِ
ولا هو مقتنعٌ أن ذا بيته المعتَمْد !.

منطق الطيـــر

صدره خضرةٌ ولهَبْ
وشريطٌ من الهدنة التفَّ ابيُضَ
يفصل أفراحَهُ
عن سواد ووحشةِ باقي الجَسَدْ.
صوتُه موجزٌ حين يصرخ في الريح منطلقاً
وهو لاصوتَ لهْ
حين يرجع للعشِّ، فهو أبٌ هادئٌ
لايحب الصَخَبْ.
عشّه قرب بيتي
وله بيضةٌ فيه واحدةٌ
وهو يرصدني غاضباً إن رآني أراقبهُ
فيهزُّ برأسه
يضرب في قدَميه
ولايبرح العش حتى أغادرَ، حتى يرى
كل شيءٍ مضى والفضاء استقرّ.
أي شيءٍ ترى أشعل الريحَ
وأسقَطهُ ؟
جنحُه في التراب ومنقارُه نحو عينيَّ
ونظرتُه لاتفارقني.
قد تعلّمتُ من منطق الطير:
أنه يوصي ببيضتِهِ
ويحذّرُ مما بعالمه مِن خَطَرْ.

* مثل يضربونه في القرية للبيت المتفرد البعيد عن البيوت، وغالباً مايكون موحشاً

ظاهرة النينو والتوقعات البيئية والمناخية

بقلم الأستاذ : اشرف محمد متولي - الرياض

يتميز علم الأرصاد الجوية عن سائر العلوم بأنه أكثر التصاقا بالبيئة وبحياة الناس وعليه فإن الحاجة الاجتماعية للتوقعات الجوية تكون ملحة ولها تأثيرها الارشادي، وكمثال على ذلك يمكننا ان نستشهد بحقل التوقعات الفصلية الذي يبدي عامة الناس اهتماما بالغا بها، ونظراً لأن نتائج هذا العلم حتى الأن لاتعدو عن كونها اكثر من «تخمين بارع» فإن الاخفاق في مثل هذه التوقعات ليس بالامر المستغرب،

إننا إذا افترضنا ان الظواهر الجوية كاقتراب عاصفة ما يمكن توقعها مسبقا بمدة تتراوح بين ثلاثة او خمسة ايام فإننا نستطيع تجنب الاثار المدمرة لتلك العاصفة من خلال اتخاذ التدابير اللازمة. وفي الوقت الراهن لايستطيع الاخصائيون في المناخ اعطاء توقعات بعيدة المدى عن احوال الطقس و يرجعون السبب في ذلك بشكل خاص الى تغيرات واسعة النطاق، حدثت على مستوى الكرة الارضية برمتها، تتعلق بدوران الهواء وتأثيره في حالة الجو على نطاق اقليمي. وهم يفعلون ذلك مفترضين انه في حال تمكنهم من فهم تلك التغيرات فسيكون بامكانهم استخدام تلك المؤشرات لتوقع الاحوال الجوية في المستقبل.

ماهية ظاهرة النينو :

من أبرز الظواهر الارشادية التي تمت مراقبتها عمليا حتى الآن تلك الظاهرة المعروفة باسم «النينو». وهي عبارة عن عملية تسخين غير طبيعية لطبقة المياه السطحية في المنطقة الاستوائية من المحيط الهادي، وتحدث هذه الظاهرة على فترات غير منتظمة متزامنة مع ظاهرة اخرى تسمى «النوسان الجنوبي» Southern Oscillation. وهي عبارة عن نوسان هائل في الضغط الجوي بين المنطقتين : الجنوبية الشرقية والغربية من المحيط الهادي الاستوائي. وهاتان الظاهرتان (النينو) و (النوسان الجنوبي) معروفتان لدى علماء المحيطات والارصاد الجوية منذ عشرات السنين. ولكن نظراً لحدوثهما في واحدة من اقل مناطق العالم المأهولة بالسكان فقد بقيتا لأمد طويل مثار اهتمام فئة قليلة جدا من الباحثين.

وكان من المحتمل أن تظل هاتان الظاهرتان مبهمتين لولا اكتشاف ارتباطهما بالاحوال الجوية في مناطق أخرى من العالم بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية. فخلال حدوث هاتين الظاهرتين عامي ١٩٨٢م - ١٩٨٣م. على سبيل المثال، نكبت ولاية كاليفورنيا الأمريكية بالفيضانات في وقت كان الجفاف في افريقيا على أشدّه. ان اكتشاف هذه العلاقة التي ربطت بين مكانين متباعدين فوق سطح الارض يشير الى هذه الاوضاع الجوية والبحرية الشاذة التي تضرب الحزام الاستوائي من المحيط الهادي، وهي قد تكون مفتاح الوصول الى توقعات جوية فصلية دقيقة في أمكنة أخرى من العالم. وعلى الرغم من أن الآمال المعقودة على هذا الإكتشاف لم تتحقق بعد، إلا أن الضغوط الملحة لمحاولة توقع الاحوال الجوية في المستقبل البعيد قد ادت بالفعل الى تحقيق تقدم في فهم هذه الظواهر الجوية الشاذة.

تعريف الأوضاع الشاذة :

ان تسمية «النينو» التي تعني بالاسبانية الطفل و يطلقها صيادو الاسماك في أمريكا الجنوبية منذ قرن ونيف على ظاهرة تتكرر سنويا في شهر ديسمبر حيث تسخن مياه البحر امام سواحل الاكوادور وبيرو. ففي ذلك الوقت تكون مياه سطح البحر عادة باردة نوعا ما بالمقارنة مع المياه الاستوائية الطبيعية الاعتيادية، وتعود هذه البرودة لوجود «تيار بيرو» المتجه شمالا، الذي يدفع المياه السطحية الدافئة الى عرض البحر، مما يؤدي الى اندفاع المياه الباردة نسبيا الى الاسفل لتحل محلها. وهذه المياه الباردة غنية بالمواد المغذية

التوقع المسبق لهبوب العواصف يتيح الفرصة لاتخاذ التدابير اللازمة لتجنب آثارها المدمرة.





هناك ارتباط وثيق بين ظاهرتي النينو والنوسان الجنوبي مع الأحوال الجوية في مناطق أخرى من العالم بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية.

خاصة «الفوسفات» و«النيترات» التي تتغذى عليها العوالق النباتية البحرية، الأمر الذي يوفر لصيادي السمك البيرويين محصولا وفيرا من سمك «الانشوقة» Anchovyالذي يعدّ أضخم محصول يجنيه صيادو السمك في العالم أجمع. وفي تلك الفترة، عندما يحل تيار جنوبي محل المياه الباردة تقل كمية المواد المغذية، فينخفض معها صيد السمك، ولكن التسخين لايمتد جنوبا لأبعد من اقصى شمال بيرو. وهو ينتهي عادة بحلول شهر مارس أو ابريل.

ومع ذلك يكون «النينو» في بعض الاحيان أكثر حدة وانتشارا واستمرارا. فبدلا من انخفاض درجات حرارة سطح الماء عن معدلاتها الطبيعية في شهر مارس أو ابريل. ترتفع على امتداد ساحل بيرو وفي المنطقتين الشرقية والوسطى من المحيط الهادي الاستوائي. وقد تبقى كذلك لما يزيد عن السنة. وقد لوحظ مثل هذا «النينو» الحاد نسبيا في الاعوام ١٩٥٣و ١٩٥٧و ١٩٥٨و ١٩٦٥و ١٩٧٢و١٩٧٣ و ١٩٧٦- ١٩٧٧م واخيرا عام ١٩٨٢و١٩٨٣م عندما ارتفعت درجة حرارة المياه قرب ساحل بيرو أكثر من سبع درجات مئوية، ومحصلة تأثير ذلك على صناعة صيد سمك الانشوقة كانت بمثابة كارثة. اذ انخفض محصول الصيد السنوي من ذروته التي زادت عن اثنى عشر مليون طن عام ١٩٧٠م الى اقل من نصف مليون طن عام ١٩٨٣م، ويطلق مصطلح «النينو» في الدوائر العلمية حاليا على هذه الظاهرة عندما تكون حادة فقط، وليس على ظاهرة تسخين مياه سطح البحر السنوية المعتدلة نسبيا (تتراوح بين درجة مئوية ودرجتين مئويتين).

إن اول خطوة مهمة نحو فهم ظاهرة «النينو» قام بها عام ١٩٦٦م، الباحث «ج. بييركنيس» Jacob Bierknes وهو من جامعة كاليفورنيا في لوس انجلوس الذي لاحظ ان التسخين الشاذ عن المألوف في مياه البحر السطحية مرتبط بظاهرة «النوسان الجنوبي». وهذه الظاهرة، التي كان أول من لاحظها السير «ج.ووكر Sir Giber Walker» في عام ١٩٢٤م عبارة عن علاقة ارتباطية متبادلة بين نظامين من الضغط الجوي عبر المحيط الهادي. فعندما يزداد الضغط الجوي المتمركز فوق جزيرة ايسترا ينخفض الضغط الجوي المتمركز فوق اندونيسيا وشمال استراليا، والعكس صحيح ولقياس هذه الظاهرة حدد ووكر مؤشرا للنوسان الجنوبي، يتم حسابه بطرح الضغط الجوي فوق المحيط الهادي الغربي من مقدار الضغط الجوي فوق المحيط الهادي الشرقي، ويكون هذا المؤشر إيجابيا عندما يزيد الفرق عن المعتاد، وسلبيا عندما يقل الفرق .

إن مسببات النوسان الجنوبي ماتزال غير معروفة، وهذا مايجعله مثيرا للأهتمام من وجهة نظر التوقعات الفصلية فالتقلبات الملحوظة التي يشهدها على مدى سنوات طويلة يصاحبها انحراف كبير في درجات الحرارة في معدلاتها



تعزى ظاهرة النينو التي تتكرر سنوياً في شهر ديسمبر إلى ارتفاع درجة حرارة مياه البحر أمام سواحل الاكوادور وبيرو.

الطبيعية. وتكثف البخار. فعلى سبيل المثال، لاحظ ووكر نفسه إن امطار الصيف الموسمية في الهند تميل الى الانحباس عندما يكون مؤشر النوسان الجنوبي منخفضا بينما تميل الى الغزارة عندما يكون المؤشر عاليا. وبعد اربعين عاما، لاحظ بييركنيس ان ظاهرة «النينو» يصحبها مؤشر منخفض. اذ يبدأ عندما يأخذ المؤشر اتجاها تنازليا من قيم عالية حتى يبلغ المؤشر ادنى قيمة له، وهكذا فان ظاهرة النينو في عام ٧٢-١٩٧٣م التي قضت على محصول بيرو من سمك الانشوقة حدثت في وقت انخفض فيه المؤشر الى واحدة من ادنى القيم المعروفة حتى ذلك الحين، وكانت مصحوبة بجفاف شديد في الهند، وعلاوة على ذلك فقد اصاب الجفاف الاتحاد السوفيتي السابق وغينيا الجديدة وجزر هاواي، في حين اجتاحت فيضانات جارفة كل من البيرو والفلبين وولاية كاليفورنيا الامريكية. ومن الارجح ان تاثيرات ظاهرة النينو يمكن الاحساس بها في مناطق ابعد كثيرا من المحيط الهادي الاستوائي. وبما انه قد تم التعرف جيدا الى نظام واسع من النينو الذي حدث عام ٧٢-١٩٧٣م، وكذلك عام ١٩٨٢ - ١٩٨٣م بعد وقت قصير من بدئه فقد شجع ذلك الباحثون على الاعتقاد بأنه قد يصبح بالامكان توقع ظاهرة النينو المستقبلية وتاثيراتها في طقس الكرة الارضية قبل حدوثها ببضعة اشهر.

النينو النموذجي :

في منتصف السبعينات، برز رأي مقبول بشكل عام حول سلسلة الاحداث التي تسبق ظاهرة النينو وتصاحبها. هذا التسلسل الذي يعرف باسم «النينو النموذجي» بناء على وصف بييركنيس للنوسان الجنوبي، وعلى نموذج للدورة المحيطية وضعه «ك. وايرتكي» من «جامعة هاواي» في هونولولو. والنماذج بحد ذاتها استمدت من قيم المعدلات الوسطية الشهرية لعناصر الطقس المتغيرة، مثل الضغط الجوي وسرعة الرياح واتجاهها وحرارة مياه سطح البحر، المقاسة في اماكن مختلفة من المحيط الهادي وقت حدوث النينو في الاعوام ١٩٥٧ -١٩٥٨و ١٩٦٥ - ١٩٧٢ - ١٩٧٣م.

ويركز الوصف النموذجي للنينو على سلوك الرياح فوق المحيط الهادي الاستوائي، وتكون الرياح التجارية في وسط المحيط الهادي وشرقه جزءا من حركة الدوران حول «نظامين دائمين للضغط العالي وهما نظام الضغط العالي فوق المحيط الهادي الشمالي المتمركز امام ساحل كاليفورنيا. ففي نصف الكرة الشمالي تكون حركة الرياح حول مراكز الضغط العالي باتجاه حركة عقارب الساعة في حين تكون عكس حركة عقارب الساعة في نصف الكرة الجنوبي. وتبعا لذلك تهب الرياح بخط الاستواء على امتداد سواحل القارتين الامريكيتين الشمالية والجنوبية. وتلتقي الرياح الشمالية الشرقية مع الرياح الجنوبية الشرقية في منطقة الالتقاء الواقعة بين مداري السرطان والجدي التي تتحرك عادة بين خطي العرض اربع درجات شمالا في شهر ابريل، وثماني درجات شمالا في شهر سبتمبر. (لأسباب غير واضحة تماما) فان الرياح التجارية الجنوبية الشرقية تكون ذات اهمية خاصة بالنسبة لدورته.

وعلى امتداد سواحل أمريكا الجنوبية تدفع الرياح التجارية الجنوبية الشرقية تيار بيرو مبعدة طبقة المياه السطحية لتحل محلها مياه باردة غنية بالمواد المغذية تصعد من الاعماق الى السطح ويستمر دفع الرياح التجارية نحو الغرب عبر المحيط الهادي بجانبيه الشرقي والاوسط، وطبقا للنموذج الذي وضعه وايرتكي فان الضغط على سطح البحر يؤدي الى ارتفاع مستوى مياه سطح البحر على الجانب الاخر، أي في المحيط الهادي الغربي. مما يؤدي الى تراكم للمياه في الغرب وهذا يجعل الطبقة السطحية الدافئة من المحيط اكثر عمقا، أو بتعبير آخر تعمل هذه المياه المتراكمة على خفض المجال الحراري أي الحد الفاصل بين طبقة المياه السطحية المتزجة جيدا والطبقات الاعمق الاكثر برودة. في الواقع ان المجال الحراري ليس حدا فاصلا ولكنه منطقة مستقرة يكون «التدريج الحراري العمودي فيها كبيرا، حيث يبدأ أمام ساحل امريكا الجنوبية على عمق ٥٠ مترا فقط، مما يفسر سبب برودة المياه الصاعدة الى السطح، ويبدأ في المحيط الهادي الغربي على عمق يقدر بـ ٢٠٠ متر.

التوقعات :

إن كل نينو يختلف عن السياق النموذجي لسلسلة الظواهر المتعاقبة التي تسبقه، وكل حالات النينو التي درست بعناية فائقة بدت في أول الامر وكأنها تحمل من اوجه الشبه والنذر التي تسبق حدوثها بما يكفي لجعل توقع اي نينو مستقبلي امرا ممكنا. وقد ركز وايرتكي بشكل خاص على ضرورة ارتفاع مؤشر النوسان الجنوبي واشتداد الرياح التجارية التي تؤدي الى تراكم المياه في المحيط الغربي، قبل أن يؤدي ضعف الرياح الى توليد النينو. وقد اعتمد نموذج وايرتكي الى حد كبير على النينو الذي حدث



الغت ظاهرة النينو المفاهيم السابقة عن انتظام حالات الطقس في دورات منتظمة لاتتبدل.

في موسم ١٩٧٢- ١٩٧٣م الذي حقق فعلا الشروط المسبقة.

كما ان الرأي القائل بأن هبوب رياح تجارية أشد من العادية يمكن ان يعول عليها لتوقع النينو قد اكتسب مزيدا من التأييد من خلال البحث الذي قام به كل من : «ي.م.راسموسن» و «ت.هـ.كاربنتر» وهما من «مركز تحليل المناخ» التابع للإدارة القومية للمحيطات والغلاف الجوي وقد اعدا خرائط تجمع كل المؤشرات التي سبقت حالات النينو التي حدثت من ١٩٤٩م إلى١٩٧٣م وقد افترض الباحثان انه من خلال أخذ معدل المراقبات الجوية التي رافقت حدوث حالات مختلفة من النينو في فترات قابلة للمقارنة، فان النذر المشتركة فيما بينها يمكن جعلها تصمد بقوة امام الاختلافات العشوائية القائمة بين هذه الحالات. وقد اعتبر هبوب الرياح التجارية القوية في المحيط الهادي الغربي خلال الاشهر القليلة التي تسبق بدء النينو أحد اهم هذه النذر.

وحتى قبل أن يضع راسموسن وكاربنتر خرائطهما الجامعة للنذر، فان النينو الذي حدث في موسم ١٩٧٦- ١٩٧٧م أو بالاحرى ان عدم حدوث نينو عام ١٩٧٥م قد قلل من قيمة اشتداد الرياح التجارية من كونه شرطا كافيا الى شرط غير ضروري لـ(النينو) ففي عام ١٩٧٤م ارتفع مؤشر النوسان الجنوبي واشتدت الرياح التجارية، وتم بناء على ذلك توقع حدوث نينو عام ١٩٧٥م ولكن شيئا غير مألوف لم يحدث، وبدلا من ذلك ، عاد المؤشر إلى الإرتفاع بعد انخفاض اولي مؤقت، واخيرا انخفض عام ١٩٧٦م ليحدث نينو معتدل.

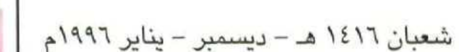
والنينو التالي، الذي حدث في موسم ١٩٨٢- ١٩٨٣م قضى على البقية الباقية من أهمية ظاهرة الرياح التجارية القوية كعامل من عوامل توقع النينو. وبعد عام ١٩٧٦م بقي الميل الحراري منخفضا أمام الساحل الامريكي الجنوبي، وبالتالي بقيت المغذيات ضئيلة بالقرب من سطح الماء، ولم تعد جموع أسماك الانشوقة الى سابق عهدها. وفي الوقت نفسه تأرجح مؤشر النوسان الجنوبي حول معدله الطبيعي، أي بعبارة أخرى لم تنشط الرياح التجارية، الأمر الذي يشير ضمناً - حسب نموذج وايرتكي- الى استبعاد احتمال تشكل نينو جديد. وبالتالي فقد فوجئ جميع المراقبين الجويين عندما بدأ المؤشر يهبط عموديا في شهر مارس عام ١٩٨٢م. وبحلول شهر يونيو وصل المؤشر الى درجات منخفضة قياسية وبدأ اقوى نينو خلال قرن على الاقل بالتشكل فضربت فيضانات مدمرة ساحل المحيط الهادي في الامريكتين، وحل جفاف في استراليا، واما الجفاف في منطقة الساحل في افريقيا فقد ازداد سوءا، في حين تعرضت جزر بولينيزيا الفرنسية في اواسط المحيط الهادي الجنوبي لأمطار تجاوزت الارقام القياسية. ومع ان بولينيزيا تتعرض في العادة لاعصار استوائي مرة كل ثلاث سنوات تقريبا، الا انه في عام ١٩٨٣م حدث مالايقل عن ستة أعاصير دمرت الجزر فيما بين شهر مارس ومنتصف ابريل.

لقد أظهرت كارثة ١٩٨٢- ١٩٨٣م ان الرياح التجارية القوية شرط غير لازم لحدوث النينو وهكذا اصبح واضحا الان ان محاولات توقع حدوث النينو بناء على النذر التي تسبقه قد فشلت، لأن هذه المحاولات قد استندت الى مجموعة من المعطيات التي لاتمثل جميع حالات النينو المحتملة. كما ان النينوالمذكور الذي اتسم بقوة غير عادية قد لايكون حدثا فريداً من نوعه لأن «ج. كيلاديس ودياز» من المؤسسة التعاونية للأبحاث في ميدان علوم البيئة التابعة لجامعة كولورادو، اكتشافا دليلا على وجود تشابه كبير بينه وبين النينو ٧٧- ٧٨ ولسوء الحظ فان تلك البيانات قديمة العهد وهي من الضآلة بحيث لايمكن إدخالها في الخرائط التي تجمع فيها النذر السابقة للنينوات، أو في غيرها من الاحصاءات التفصيلية.

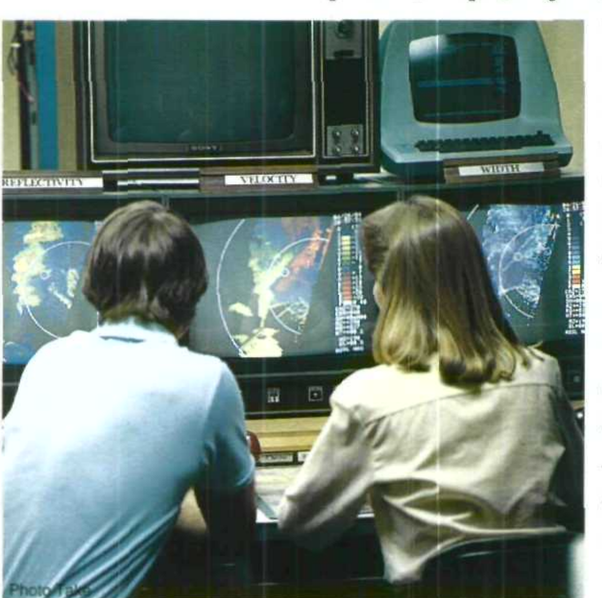
إن الفشل في توقع حدوث النينو يفسر النقص الحالي في فهم الكيفية التي يتم بها حدوث حالات الطقس النادرة، فما كان يعتقد في وقت ما بأنه دورة دقيقة واضحة المعالم الى حد ما، تتألف من سلسلة من الاحداث ذاتها، ثبت في النهاية انه ظاهرة متقلبة جدا. ولقد افترض نموذج وايرتكي ان النظام الجوي في المحيط الهادي يحتل غالبا احدى حالتين مستقرتين فقط الاولى يمثلها النينو ومؤشر منخفض النوسان الجنوبي، والثانية يمثلها مايمكن تسميته بـ «الانينو» ومؤشر عال وكان يعتقد انه بمجرد ان يبدأ تتعزز عملية تفاعل تغذية استرجاعية إيجابية بين الجو والمحيط مما يطيل امد الدوره. كما كان يعتقد انه بمجرد انتهاء الدورة يعمل التفاعل نفسه على تسريع العودة الى حالة «الانينو» وفي السنوات الاخيرة اصبح التفريق بين الحالتين امرا غير واضح بعد ان تم اكتشاف سلسلة من الحالات المتغيرة فعلى سبيل المثال، كان يعتبر حدوث صيف جاف في الهند وسقوط امطار فوق معدلها الطبيعي في المحيط الهادي الاوسط سمة مميزة من



إن ظاهرة النينو مرتبطة بظاهرة النوسان الجنوبي وهي عبارة عن علاقة ارتباطية متبادلة بين نظامين من الضغط الجوي عبر المحيط الهادي، احدهما يتمركز فوق إندونيسيا وشمال استراليا.



سمات النينو، ولكن الجفاف الهندي الحاد عام ١٩٧٩م وكمية الامطار الشهرية القياسية في جزيرة كانتون في شهر ديسمبر عام ١٩٧٧م قد حدث كلاهما في سنة خلت من ظاهرة النينو. ويبدو ان سمة التقلب والتغير في دورة النينو قد ظلت غامضة بفعل الاساليب التي استخدمت في دراسة هذه الظاهرة. لقد كان ثمة خطأ فادح في الابحاث جميعها تقريبا تمثل في التركيز على حالات النينو ذاتها سواء كانت حدثا متفردا أو حوادث مركبة، كما ان الفترات الطويلة جدا التي كانت تفصل بين حالات النينو قد اهملت الى حد كبير، ومع ذلك فان نموذجا نظريا يربط بين تسخين غير طبيعي لسطح مائي دافئ في المحيط الهادي الاستوائي مثلا وضعف الامطار الموسمية في الهند، لابد أن يوضح سبب انحباس الامطار في بعض الاحيان عندما تكون درجة حرارة مياه سطح البحر عند مستواها الطبيعي أو دونه في حين النماذج الحالية لاتوضح ذلك.



شهد علم الأرصاد الجوية خلال السنوات الماضية تطوراً كبيراً واصبح يعتمد على اقمار متخصصة ومحطات منتشرة في جميع انحاء العالم.

من ناحية اخرى يعتقد علماء من مركز مسيسبي ستينس سبيس ومركز كلورادو لبحوث الفلك ان تاثير النينو لعامي ١٩٨٢- ١٩٨٣م دام اطول مما كان يعتقد سابقا.

ويقول الباحث «جاكوبس» من مركز «ستينسي» ان ذلك النينو لم ينته بعد، فالباحث استخدم اجهزة ومعدات اقمار صناعية لدراسة مستوى سطح البحر الذي يرتبط بضغط مياه المحيط وتياراته، واكتشف هو وزملاؤه ان ذلك النينو الذي يعتبر الاقوى في هذا القرن مازال يؤثر على جو المحيط الهادي وتياراته .

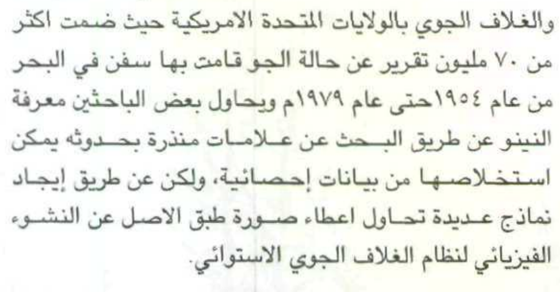
وتدل بيانات الاقمار على أن تيارا قويا دافئا يسمى «امتداد كيوروشيو» يسري شرقا من ساحل اليابان، سار بعيدا الى الشمال من مكانه الطبيعي خلال اوائل التسعينيات. واظهرت بيانات اقمار اضافية موجة محيطية خاصة تسمى موجة «روسبي» ولدها النينو لعامي ١٩٨٢- ١٩٨٣م.

واستغرقت هذه القمة العريضة لمستوى سطح البحر مايقرب من عقد من الزمان راحلة من الساحل الجنوبي لأمريكا عبر المحيط الهادي قبل ان تضرب كيوروشيو في الشمال، ولم يخطر ببال الباحثين ابدا ان هذه الموجه.. يمكن ان تبقى كل هذا الوقت. ويعتبر بقاء الموجه.. المدهش خبرا جيدا لعلماء المناخ، ومن الواضح ان الحدث الذي يستغرق اكثر من احد عشر عاما يجب ان يكون أسهل في الفهم والتوقع من مجموعة من عشرات الاحداث التي يستغرق كل منها بضعة اسابيع. وستعطي هذه العملية التي استغرقت احد عشر عاما الوقت الكافي لعلماء المناخ لرصد التوقعات الجوية، كما توفر للمزارعين الكثير من الوقت للقيام بالترتيبات اللازمة.

هل يمكن أن يكون لاحداث عام ١٩٨٢- ١٩٨٣م دور في فيضانات المسيسبي عام ١٩٩٣م؟ يعلق على هذا التساؤل «جاكوبس» ويقول ان بعض الناس افترض ذلك، وهو موضوع جدير بالاهتمام والبحث، ولايمكننا الجزم بذلك الآن.

توقعات مستقبلية :

لايقصد مما سبق عدم وجود امل في امكان استخدام ظاهرة النينو اساسا للتوقعات الجوية الفصلية، فالبحث مازال مستمرا لتحديد العلامات والاشارات المنذرة بحدوث النينو ووضع نموذج لتأثيراته والمحاولات السابقة التي قام بها علماء الارصاد الجوية تلقى تأييدا وقبولا من الاوساط العلمية المعنية بهذا الامر، فقد تم جمع مجموعة ضخمة من المعلومات حول الغلاف الجوي جمعها العالمان جوزيف وفليتشر من الادارة القومية للمحيطات والغلاف الجوي بالولايات المتحدة الامريكية حيث ضمت اكثر من ٧٠ مليون تقرير عن حالة الجو قامت بها سفن في البحر من عام ١٩٥٤حتى عام ١٩٧٩م ويحاول بعض الباحثين معرفة النينو عن طريق البحث عن علامات منذرة بحدوثه يمكن استخلاصها من بيانات إحصائية، ولكن عن طريق إيجاد نماذج عديدة تحاول اعطاء صورة طبق الاصل عن النشوء الفيزيائي لنظام الغلاف الجوي الاستوائي.



إن السؤال حول ما اذا كان التوقع سيصبح دليلا مفيدا للقيام بالتوقعات الجوية الفصلية يبقى قائما ومع ذلك فان تأثير النينو على علم الارصاد الجوية، أن لم يكن على الجو، هو تأثير حاسم بلاشك. ونزولا عند طلب الناس وجد الباحثون في حقل الارصاد الجوية أنفسهم في موقف فريد ولكنه مفيد في اضطرارهم لوضع فرضياتهم العلمية موضع الاختبار الفوري تقريبا، وعندما تفشل التوقعات يجري تعديل الفرضيات ■

الهوامش :

1 - Steve Mirsky, The Nino, The Eleven year El Earth Volume 4, No. 1 Feb. 1985.

2 - Scientific American, June 1986.

٣ - مجلة العلوم، المجلد ٢ العدد ٣ الكويت، مارس١٩٨٧م.

٤ - د. محمد صباريني، ظاهرة النينو والمشكلات البيئية العالمية، مجلة البيئة، العدد ٩٣ الكويت مايو ١٩٩٠م.

قراءة في كتاب :

جيران في عالم واحد

نص «تقرير لجنة إدارة شؤون المجتمع العالمي»

الناشر : عالم المعرفة - الكويت

قراءة : محمد العصيمي - هيئة التحرير

عالم المعرفة ٢٠١

جيران في عالم واحد

نص تقرير: لجنة إدارة شؤون المجتمع العالمي
ترجمة : مجموعة من المترجمين
مراجعة : عبدالسلام رضوان

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

في عام ١٩٧١ كتبت «بربارا وورد» في بحث قدمته الى إحدى لجان العدل: إن أهم تغيير يستطيع أن يقوم به الناس هو تغيير طريقتهم للنظر إلى العالم. إننا نستطيع أن نغير دراستنا ، ووظائفنا، وجيراننا، بل وبلادنا وقاراتنا، ونظل رغم هذا كما كنا دائما . ولكن دعونا نغير زاوية رؤيتنا الأساسية، وسوف يتغير كل شيء- أولوياتنا، وقيمنا، وأحكامنا ، ومطالبنا- وقد حدث مرارا وتكرارا في تاريخ الأديان، أن حدد هذا الانقلاب الشامل في التخيل بداية حياة جديدة.. . ومنعطفا للقلوب، وبصيرة يرى الناس من خلالها بعيون جديدة، ويفهمون بعقول جديدة، ويحولون طاقاتهم الى طرق جديدة للمعيشة

حول مدار أفكار بربارا وورد هذه صدر مؤخرا تقرير لجنة «إدارة شؤون المجتمع العالمي» بعنوان Our Global Neighborhood وقد نشرته بالعربية سلسلة عالم المعرفة تحت عنوان (جيران في عالم واحد)، ويهدف هذا التقرير ان يكون بمثابة مشروع تتبناه الدول والمؤسسات والشعوب لتحقيق التطلع الأزلي للبشر في تقاسم مكتسبات الكون فيما بينهم - ما وسعهم ذلك - ، وإن يقطعوا الطريق على وسائلهم التاريخية التقليدية في الصراع الدامي لضمان المصالح الذاتية على حساب مصالح الآخرين.

لقد مهد الرئيسان المناوبان للجنة للتقرير بالأشارة إلى أن ميثاق الأمم المتحدة كتب في وقت كان العالم فيه مايزال منغمسا في أتون الحرب.. وفي مواجهة آلام لايمكن وصفها عقد زعماء العالم العزم على ألا يدعوا مثل تلك الحرب تقع ثانية . وتأكيداً على إيمانهم بكرامة الإنسان، فقد استقر رأيهم على ضرورة التقدم لكل الشعوب، وأثمرت رؤيتهم أهم وثيقة سياسية عرفها العالم.

لكن ماذا عن الآن؟

الحقيقة التي حرص التقرير على إثباتها أنه بعد انقضاء نصف قرن منذ توقيع الميثاق في سان فرانسيسكو- وبالرغم من أن هذه الفترة لم تشهد حرباً عالمية أخرى- الا أن البشرية شهدت كثيراً من اشكال العنف والمعاناه والظلم، ومازالت هناك أخطار يمكن أن تهدد الحضارة ، بل ومستقبل الجنس البشري.

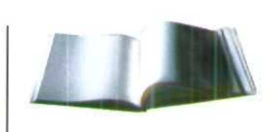
في الوقت نفسه فإن الدول القومية التي تشكلت فعليا وزاد عددها بعد الحرب الكونية الثانية تجد نفسها الآن أقل قدرة على معالجة ذلك الكم الكبير من القضايا (القديمة والجديدة) التي تواجهها، ولكي تسيطر هذه الدول وشعوبها على مصيرها فإنها لاتستطيع ان تحقق ذلك إلا بالعمل جنبا إلى جنب مع الآخرين، وأنه يتعين عليها أن تؤمن مستقبلها من خلال الالتزام بالمسؤولية المشتركة، والجهد المشترك.

تجديد ميثاق الأمم المتحدة:

من المسائل الملحة التي ركز عليها الرئيسان المناوبان لـ (لجنة إدارة الشؤون العالمية)، الحاجة الى تجديد ميثاق الأمم المتحدة، حيث لابد من التغلب على مايكتنف المؤسسات الحالية من عيوب وعدم ملاءمة، كما تدعو الحاجة الى نسيج متماسك من القواعد الدولية، بحيث يمتد حكم القانون الى نطاق العالم كله، ويمكن المواطنين من ممارسة تأثيرهم الديمقراطي في العملية العالمية، ذلك أن قدرة الناس الجماعية على تشكيل المستقبل هي أكبر الآن من أي وقت مضى، كما أن الحاجة الى ممارستها أصبحت أكثر إلحاحا، باعتبار أن التحدي الرئيس الذي يجابه هذا الجيل هو حشد تلك القدرة من أجل جعل الحياة في القرن الحادي والعشرين أكثر ديمقراطية، وأكثر أمنا واستمرارية.

الأمر الذي يمكن تحقيقه من خلال إدارة شؤون المجتمع العالمي التي هي مجموع الوسائل الكثيرة التي يتبعها الأفراد والمؤسسات بالقطاعين العام والخاص، لإدارة شؤونهم المشتركة، وهي عملية مستمرة يمكن من خلالها التوفيق بين المصالح المتعارضة أو المتنوعة والإضطلاع بالاعمال التعاونية. كما تتضمن المؤسسات والأنظمة الرسمية المخولة في فرض الامتثال، فضلا عن الترتيبات غير الرسمية التي اتفق الناس والمؤسسات عليها أو ترى أنها تتفق مع مصلحتها.

وعلى سبيل المثال فإن إدارة شؤون المجتمع تتضمن على *المستوى المحلي الجمعيات التعاونية التي تخدم الحي والمنطقة* ، والتي تتشكل من أجل تركيب صنابير مياه عامة وصيانتها، ومجلس المدينة الذي يتولى تشغيل مشروعات إعادة تدوير النفايات ، والجهاز متعدد المراكز الحضرية الذي يضطلع بوضع خطة متكاملة للنقل بالاشتراك مع مجموعات المستفيدين.



أما على المستوى العالمي فكان ينظر الى إدارة شؤون المجتمع في المحل الاول على انها علاقات فيما بين الحكومات ، ولكنها ينبغي أن تفهم الآن بوصفها عملية تضم أيضا المنظمات غير الحكومية، وحركات المواطنين والشركات متعددة الجنسيات، وسوق رأس المال العالمية. وتتفاعل مع كل هذا وسائل الإعلام العالمية ذات التأثير الهائل.

وتوضح التجربة المعاصرة أن الحكومات لاتتحمل بالكامل عبء إدارة شؤون المجتمع العالمي. ومع ذلك تظل الدول والحكومات هي المؤسسات العامة الأساسية فيما يتعلق بالاستجابة البناءة للمسائل التي تؤثر في حياة الشعوب وفي المجتمع العالمي ككل، كما أنه ليس هناك نموذج أو شكل وحيد لإدارة شؤون المجتمع العالمي .

ومن ثم ،فإن الأمر يقتضي أن تعتمد عملية صنع القرار على مستوى المجتمع العالمي، على القرارات التي تتخذ على المستويات المحلية، والوطنية، والاقليمية، وأن تؤثر فيها، وأن تستفيد من مهارات وموارد مجموعات متنوعة من الشعوب والمؤسسات بمستوياتها المتعددة. كما يتعين عليها تأسيس شراكة فعلية (شبكات من المؤسسات والعمليات) تمكن القوى الفاعلة عالميا من تجميع المعلومات والمعارف والقدرات لتطوير سياسات وممارسات مشتركة بشأن القضايا ذات الاهتمام المشترك.

تطبيق مفهوم المجتمع العالمي :

يرصد التقرير جملة مؤشرات تدفع باتجاه تطبيق مفهوم المجتمع العالمي. فهناك ظاهرة التغيير المستمرة التي استشهد التقرير للدلالة على حجمها بتنصيب نيلسون مانديلا رئيسا لجمهورية جنوب أفريقيا عام ١٩٩٤م، حيث اعتبر ذلك علامة على الاكتمال الفعلي لتحول رئيس في العصر الحديث. فتحرير الشعب الأسود في جنوب أفريقيا يمكن اعتباره المرحلة النهائية من عملية التحرر من الاستعمار وميراثه، وفي المقابل واكبت عملية التحرر من الاستعمار- بل ودعمتها - ثورة الاتصالات. فقبل ثلاثين عاما من تحول مانديلا من زعيم لحركة تحرر الى رئيس حكومة أمام جماهير المشاهدين في العالم كله، لم تكن قد وجدت بعد أقمار صناعية تنقل صور المحاكمة التي حكم عليه فيها بالسجن مدى الحياة.

وهناك ايضا مؤشر (العولمة الاقتصادية)، حيث عزز إلغاء القيود التنظيمية ، والتفاعل مع التغيرات المتسارعة في تقانة الاتصالات والحواسيب التحرك نحو سوق عالمية متكاملة، كذلك أسفرت الأنماط المتغيرة للنمو الاقتصادي خلال العقود القليلة الماضية عن أقطاب جديدة فاعلة، فقد أزاحت ألمانيا واليابان، اللتان هزمتا في الحرب العالمية الثانية كلا من المملكة المتحدة وفرنسا من زمرة النخبة الاقتصادية، وبباري الاتحاد الأوروبي الولايات المتحدة كقوة اقتصادية، وأخذت مناطق جديدة للجذب الاقتصادي تظهر في أمريكا اللاتينية ، كما يعمل الأداء الاقتصادي الباهر للنمور الآسيوية الأربعة، والصين ، مع وجود بلدان مثل الهند وأندونيسيا لاتتخلف كثيرا عنها، على نقل مركز الجاذبية الاقتصادية في العالم . وفي نفس السياق من التقرير فإن تضاريس الساحة الاستراتيجية مختلفة الآن بصورة حادة عما كانت عليه منذ خمس سنوات مضت، وهي السنوات التي أنفقت خلالها تريليونات الدولارات على أسلحة لم تستخدم مطلقا، وبصفة رئيسة من قبل الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي السابق، وخلال هذه السنوات أصبحت الأسلحة النووية بمنزلة «الشارة» لوضع القوة العظمى ، كما جرت في السنوات ذاتها مبيعات على نطاق واسع من الأسلحة التقليدية خاصة الى البلدان النامية، وبالرغم من أن تخفيف التوتر في الثمانينات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي شكل بداية عملية نجم عنها خفض هائل في مخزونات الأسلحة النووية في هذين البلدين الا أن التقرير يخشى أن يكون العالم على حافة سباق جديد لحيازة أسلحة التدمير الشامل التي تشتمل على الأسلحة البيولوجية والكيميائية ، فضلا عن الأسلحة النووية، وقد يضم سباق التسلح الجديد مزيدا من البلدان ، وحتى الكيانات التي لاتأخذ شكل دولة مثل عصابات المخدرات، والحركات السياسية قد تنضم اليها.. ويشير التقرير إلى أنه يمكن اعتبار الفترة التي انقضت منذ عام ١٩٤٥م سلما طويلا بالمعنى الضيق فحسب، وهو انها لم تشهد حربا بين القوى الكبرى. لكنها كانت بالنسبة لمعظم ارجاء العالم فترة من الحروب المتكررة، ووفقاً لأحد التقديرات، شهدت الفترة بين عامي (١٩٤٥و١٩٨٩م) ١٣٨ حربا اسفرت عن مقتل ٢٣ مليون انسان، وفيما بين عام ١٩٧٠ وإنتهاء الحرب الباردة عام ١٩٨٩ نقلت أسلحة قيمتها ١٦٨ مليار دولار الى الشرق الأوسط، وذهب ماقيمته ٦٥ مليار دولار الى أفريقيا، وماقيمته ٦١ مليار دولار الى الشرق الأقصى، وما قيمته ٥٠ مليار دولار الى أمريكا اللاتينية ، وكانت حصة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ٦٩ بالمائة من الإجمالي البالغ ٣٨٨ مليار دولار.

المتغير الاقتصادي:

يسترسل التقرير في تناوله للاتجاهات الاقتصادية من ضمن دواعي تطبيق مفهوم المجتمع العالمي، ويبرز في هذا الجزء اندفاع الولايات المتحدة في نهاية الحرب العالمية الثانية - بوصفها رمزا للاقتصاد الصناعي الوحيد المزدهر في العالم - الى احتلال موقع لايبارى للقيادة الاقتصادية، ونتيجة لمجموعة اجراءات تزعمتها الولايات المتحدة فإنه بدءا من أوائل الخمسينات نما الناتج العالمي بمعدل غير مسبوق تاريخيا، فخلال تلك العقود الأربعة حتى عام ١٩٩٠م، زاد الناتج الفعلي بمقدار خمسة أمثال، وكانت منافع التوسع الاقتصادي واضحة بصفة خاصة في البلدان الصناعية الغربية، وخلال جيل واحد بعد عام ١٩٥٠ زاد دخل الفرد في معظم أوروبا بقدر زيادته خلال فترة القرن ونصف القرن السابقة كلها. وأغرقت موجة من السلع الاستهلاكية الجديدة أسواق الولايات المتحدة والأسواق الأوروبية، وغيرت المجتمعات التي كانت تعاني حتى وقت قريب مصاعب الكساد الكبير والخراب الذي أحدثته الحرب العالمية الثانية، وتحسنت المعيشة بشكل كبير، وأقيمت نظم للضمان الاجتماعي الشامل في أوروبا بصفة خاصة، وقامت دولة الرفاهية، التي وفرت فرص الحصول على خدمات الرعاية الصحية والتعليم ذات النوعية المرتفعة على نطاق واسع، وتم الإبقاء على البطالة عند مستويات بالغة الانخفاض في بلدان كثيرة، كذلك حققت بلدان

نامية عديدة معدلات نمو أعلى من تلك التي تحققت في العالم الذي تم تصنيعه بالفعل. الاانه منذ السبعينات هزت سلسلة متتابعة من التحديات الثقة في نظام مابعد الحرب وأبطأت من معدلات النمو في بلدان كثيرة، وكشفت مجموعة من الصدمات - بما فيها إقرار حكومة الولايات المتحدة في عام ١٩٧١م فك الارتباط بين الدولار والذهب، والزيادة الهائلة في أسعار النفط بدءاً من عام ١٩٧٣م- عن انتهاء سنوات النمو السهل... وكان اعلان المكسيك عجزها عن خدمة ديونها في عام ١٩٨٢م علامة على بداية أزمة ديون اجتاحت أجزاء كبيرة من أمريكا اللاتينية وأفريقيا أيضا، حيث زادت المشكلات الاقتصادية العميقة التي كانت قائمة بالفعل.

وضمن هذا السياق يذكر التقرير أن الاقتصاد العالمي قد توسع بمقدار خمسة أمثال في العقود الأربعة الماضية، ولكن مازال هناك رسوخ للفقر تظهره حقيقة أن عدد السكان الذين يندرجون في فئة الفقراء فقرا مدقعا وفقا لتصنيف البنك الدولي، قد ارتفع الى ١,٣ مليار نسمة في عام ١٩٩٣م.

ومن ضمن المؤشرات الأخرى التي تدفع باتجاه تطبيق مفهوم المجتمع العالمي نشوء المجموعات الاقتصادية الاقليمية الذي أدى الى ظهور واقع اقتصادي جغرافي جديد. ومن جانب آخر فإن العقود الخمسة الأخيرة التي شهدت تحولات سياسية واقتصادية جذرية شهدت أيضا تغيرا بيئيا واجتماعيا بعيد المدى، وعلى سبيل المثال فإن ماأضيف الى عدد سكان العالم خلال العقود الخمسة الأخيرة يزيد على ما أضيف منهم خلال آلاف السنين السابقة من عمر البشرية، وهو الأمر الذي أثار تساؤلات حرجة عن قدرة الأرض على تحمل تأثير الاستهلاك البشري.

قيم الجوار وأخلاقياته :

هناك عوامل عديدة - في رأي التقرير - ستحدد نوعية إدارة شؤون المجتمع العالمي، وفي مقدمة هذه العوامل القبول الواسع بوضع أخلاقيات عالمية للمجتمع المدني لتوجيه سير العمل في إطار الجوار العالمي، فمن أجل أن يكون الناس جيرانا عالميين فإنهم يحتاجون الى طرق جديدة لكي يفهم بعضهم البعض والى طرق جديدة للحياة أيضا، وقليل من الناس هم الذين يدركون هذا على نحو أفضل أو يعترفون به بوضوح، ومن الأمور الحيوية التي يحددها التقرير باعتبارها من قيم الجوار احترام الحياة وذلك بعدم اللجوء الى العنف لتحقيق رفاهية أي جوار، وأيضا الحرية لكون جميع البشر ولدوا متساوين في حقهم في الكرامة الإنسانية، وأن من حقهم التمتع بحريات أساسية معينة مثل حرية تحديد هويتهم والتعبير عنها، واختيار طريقة الحياة الخاصة بهم، والحصول على الرزق، والتحرر من الأضطهاد والقهر وحرية تنقل المعلومات، وبدون هذه الحريات يصبح العالم ساحة للمعارك بين الأفراد والجماعات المتحاربة، يسعى كل منها لحماية مصالحه أو لفرض سلطته على الآخرين. ويضع التقرير من ضمن قيم الجوار العدل والمساواة ويطالب باحترامهما الذي لاغنى عنه للسلم والتقدم، كما أن غيابهما يمكن أن يؤدي الى إثارة الاستياء وزعزعة الاستقرار.

ويحث التقرير المجتمع العالمي لتوحيد جهوده تأييدا لنظام أخلاقي عالمي للحقوق والمسؤوليات المشتركة، حيث ينبغي أن يشمل هذا النظام حق جميع الناس في الحياة الآمنة، والمعاملة المنصفة، واتاحة فرصة تحقيق حياة كريمة وتوفير الرفاهية لأنفسهم ، وكذلك تحديد أوجه الخلاف بينهم وتسويتها بالوسائل السلمية، مع مشاركة الناس في إدارة شؤونهم على جميع المستويات، وعدم اغفال حق تقديم الالتماسات الملائمة والمشروعة من أجل الانتصاف من المظالم الكبيرة، والمساواة في الحصول على المعلومات، وكذلك المساواة في الوصول الى المشاعات المشتركة، وفي الوقت ذاته يشارك كل الناس في الاضطلاع بمسؤولياتهم تجاه مايلي :

- المساهمة في الصالح العام.
- توخي أثر الأعمال التي يقومون بها على أمن ورفاهية الآخرين.
- تعزيز الانصاف، في تقاسم مايشتركون به باعتبارهم بشرا.
- حماية مصالح الأجيال المقبلة بانتهاج التنمية المستديمة وحماية المشاعات المشتركة.
- الحفاظ على تراث الإنسانية الثقافي والفكري.
- المساهمة النشطة في إدارة شؤون مجتمعهم.
- العمل من أجل القضاء على الفساد..

وفي اعتقاد التقرير أن هذه القائمة للحقوق والمسؤوليات تشكل الأساس اللازم - في حده الأدنى - لإحراز التقدم في بناء مجتمع أكثر عالمية ومدنية.

إن لجنة إدارة شؤون العالم التي وضعت هذا التقرير تأمل أن تجد صدى يعزز امكانيات التجاور العالمي في وقت لم يعد فيه خيار لأحد أن يجاور الآخر، وهي بالإضافة الى استعراضها لمكتسبات العالم الجديدة والأخطار والتحديات التي تحدق بهذه المكتسبات وضعت مقترحاتها تجاه الطابع المتغير للأمن العالمي، وإدارة الاعتماد المتبادل في الميدان الاقتصادي، وإصلاح الأمم المتحدة، وتعزيز سيادة القانون على الصعيد العالمي ■

لجنة « إدارة شؤون المجتمع العالمي »

تعد لجنة إدارة الشؤون العالمية التي اصدرت هذا التقرير لجنة مستقلة ، ليس لها صفة حكومية ، وتتكون من ٢٨ شخصية عالمية ، تتنوع خبراتهم ومسؤولياتهم ، ويتشكل هيكل اللجنة على النحو التالي :

الرئيسان المناوبان :
إنغفار كارلسون - السويد
شريداث رامفال - غانا

الأعضاء :
علي العطاس - إندونيسيا
أوسكار آرياس - كوستاريكا
كورت بيننكوبف - المانيا
مانويل كاماكو سوليس - المكسيك
باربر كونابل - الولايات المتحدة
جيري دينستبير - الجمهورية التشيكية
فرانك جود - المملكة المتحدة
ونغاري ماثاي - كينيا
أولازا أوتون - أوغندا
سليناادو أمارال بيكسوتو - البرازيل
كيان جيادونغ - الصين
أديل سيمونز - الولايات المتحدة
بريان أوركوهارت - المملكة المتحدة
عبداللطيف الحمد - الكويت
آنا باليتبو - إسبانيا
آلان بويزاك - جنوب افريقيا
برنارد تشيدزيرو - زمبابوي
جاك ديلور - فرنسا
إنريك إغليسياس - أورغواي
هونغكو لي - كوريا
صاداكو أوغاتا - اليابان
أ. ج. باتل - الهند
جان برونك - هولندا
ماري - أنجليك سافاني - السنغال
موريس سترونغ - كندا
يولي فورونتسوف - روسيا

الأمين العام :
هانز دالجرين - السويد

طرق إستصلاح الأراضي المالحة

بقلم :د. عرفان أسود الحمد - سورية

تختلف نوعيات المياه المستخدمة في الري اعتمادا على نوع وكمية الأملاح المتحللة بنسبة قليلة في مياه الزراعة. وتنشأ هذه الأملاح من انحلال أو تفتت الصخور والتربة، وفي حالة الري فإن الأملاح المتحلّلة في المياه تترسب في التربة بينما تتبخر المياه أو تستهلك من قبل المحصول، وتعتمد صلاحية المياه للزراعة على كمية ونوعية الأملاح المنحلة ، وكلما زاد حجم الأملاح في الماء ازدادت مشاكل التربة.

لقد حدّد الباحثون المشكلات الأكثر شيوعا في التربة المستخدمة أساساً في تقييم نوعية المياه على النحو التالي:

الملوحة :

تظهر مشكلة الملوحة عندما تتراكم الاملاح في طبقة الجذور، ويزداد تركيزها بحيث يؤدي الى نقص في الإنتاج. وتنشأ هذه الاملاح غالبا من ارتفاع مستوى المياه الجوفية العالية أو من الاملاح المتحللة في مياه الري. ويبدأ الانتاج بالانخفاض عندما يصل تراكم الأملاح في طبقة الجذور الى الحد الذي يجعل النبات غير قادر على استخلاص المياه من محلول التربة الملحي مما يؤدي الى نقص في المياه الصاعدة في سيقان النبات ثم بطء وتيرة نموها. فالأعراض التي تظهر على النبات مشابهة للأعراض المميزة للجفاف مثل الذبول واللون الازرق المخضر أو الداكن. وفي بعض الأحيان يؤدي، الى زيادة سماكة وشحوب الأوراق. وهذه الاعراض تصبح أكثر وضوحاً في المراحل المبكرة من النمو. وقد لا تكون الاعراض الناجمة عن الملوحة المتوسطة في بعض الاحيان ظاهرة وذلك بسبب الإنخفاض المنتظم في النمو الطبيعي للنبات.

إن الاملاح التي تسبب إتلاف التربة هي أملاح سهلة الذوبان وبالتالي سهلة النقل بوساطة الماء، والاملاح

زيادة نسبة المخلفات الصناعية في الأرض يخفض النمو الطبيعي للنبات



أرامكو السعودية

المترسبة في طبقة الجذور من السقايات السابقة يمكن غسلها الى اسفل عند زيادة كمية المياه الراشحة عبر التربة بالمقارنة مع الكميات العادية اللازمة للمحصول خلال الموسم. ويعتبر الغسيل بمثابة المفتاح للتحكم بمشاكل الملوحة الناجمة عن نوعية المياه، ولابد ان تزيد أو تساوي كميات الاملاح المزاحة الى اسفل طبقة الجذور عن تلك المضافة اليها من مياه الري، وهكذا فان نسبة الاملاح تعتمد على نوعية مياه الري وعلى حساسية المحصول تجاه التملح. فالمحتوى الملحي لطبقة الجذور العميقة تتغير نسبته من الطبقة السطحية الى العمق وذلك لأن النبات يستخلص الماء تاركا الأملاح في حجم اقل كثيرا من ماء التربة. كما ان السقي يدفع الأملاح الى عمق طبقة الجذور، وتتركز معظم كميات المياه في الجزء العلوي لمنطقة الجذور، وبامتصاص المحصول للماء تصبح الاجزاء الاكثر عمقا ذات ملوحة أعلى من الطبقة السطحية. والمحصول لايميّز بين درجات الملوحة العالية والمنخفضة في الطبقات الاعمق بل يفضل الماء المتاح ويمتصّه من أي مكان هو متاح فيه، وهنا تظهر اهمية تحديد مواعيد السقايات، ومراقبة مدى توفير المياه المتاحة في التربة والتقليل من المشاكل الناجمة عن طريق سحب المحصول لدفعات من الماء من مناطق اقل اتاحة واكثر ملوحة وهي الطبقات السفلى من منطقة الجذور، وللحصول على انتاج جيد يجب توفير المياه بشكل كاف، وتأمين غسيل الاملاح المتراكمة من منطقة الجذور قبل ان يصل تركيزها فوق الحدود المسموحة للنبات.

وتواجه الزراعة المرويّة بعض مشاكل الملوحة كما تتأثر بضحالة مستوى الماء الارضي ضمن مجال مترين من سطح التربة. وقد تتراكم الاملاح في الماء الارضي الضحل، وبشكل منتظم تصبح مورداً إضافياً للأملاح المتحركة نحو الأعلى داخل طبقة الجذور. فمراقبة مستوى الماء تتطلب كميات إضافية للغسيل النسبي الذي يضيف صعوبات في سوء الصرف، ويجعل من المستحيل الوصول إلى زراعة مرويّة ناجحة ومستمرة دون اللجوء إلى الصرف المناسب ، وبوجود الصرف المناسب تصبح مراقبة الملوحة سهلة وممكنة للتأكد من أن المحصول يزود بالماء بشكل كاف في كل مراحل نموه، وأن هناك مياه غسيل كافية للتحكم بالأملاح في حدود النسب المسموحة للنبات.



أرامكو السعودية

تصعب عملية التحكم بالملوحة إذا لم تمهد الأرض بشكل كاف لتعطي توزيعاً متساوياً للمياه

نسبة المياه الراشحة :

تتعلق سرعة رشح المياه في التربة بنوعية المياه، ويظهر ذلك عندما تنخفض هذه السرعة، بحيث تبقى مياه الري أو الامطار لفترات طويلة في الطبقة السطحية للتربة أو ان الماء ينتشر في التربة ببطء شديد، وهذا يحد من مد المحاصيل بالمياه اللازمة للحصول على الانتاجية المقبولة. وتتأثر سرعات الترشيح داخل التربة بشكل كبير، بنوعية المياه، وكذلك مواصفات التربة مثل قوام التربة ودرجة التراص والمحتوى العضوي، وهناك عاملان يعتبران اكثر تأثيرا على درجة الترشيح هما: ملوحة الماء، ونسبة محتوى الصوديوم الى محتوى الكالسيوم والمغنيزيوم. فالمياه المالحة تزيد سرعات الترشيح في حين المياه قليلة الملوحة التي يزداد محتوى الصوديوم فيها عن محتوى الكالسيوم تخفض سرعة الرشح.

إن اغلب مشاكل الرشح تنتج عن نوعية المياه في الطبقة السطحية، ولعمق عدة سنتمترات من التربة، وهي تعزى الى ثبات قوام هذه الطبقة السطحية ومحتواها المنخفض من الكالسيوم بالنسبة للصوديوم، فحين تروى الطبقة السطحية بمياه غنية بمحتواها من الصوديوم فان هذه الطبقة يتراكم فيها الصوديوم مما يضعف بنية التربة، وفي هذه الحالة تتحول الى ذرات دقيقة ناعمة تغلق مسامات التربة، وهذه المشكلة يمكن ان تنشأ عندما يلاحظ نقص كبير في محتوى الكالسيوم في الطبقة السطحية، وفي بعض الاحيان تؤدي المياه قليلة الملوحة

الى مشاكل مشابهة حيث يقوم الماء بحل وغسل العناصر القابلة للذوبان بما في ذلك الكالسيوم في الطبقة السطحية للتربة.

السمية :

تظهر مشاكل السمّية عندما يمتص النبات بعض المكونات الرئيسة (الأيونات) من الماء أو التربة ، ويؤدي تراكمها بتركيزات عالية الى تخريب المحاصيل أو خفض الانتاج، وتتعلق درجة التخريب بحجم امتصاص الملح وحساسية المحاصيل. وتتمتع المحاصيل المعمرة كالاشجار بحساسية عالية، ويظهر التخريب غالبا في منطقة التراكيز الايونية المنخفضة للمحاصيل الحساسة، ويظهر على شكل حرق على بعض الاوراق الهامشية وشحوب يخضوري، أما عندما يزداد التركيز فانه يؤدي الى نقص في الانتاج، أما المحاصيل الحولية فهي غير حساسة للتراكيز المنخفضة الا ان غالبية تلك المحاصيل تذبل أو تموت عندما تزداد نسبة التركيز.

ارامكو السعودية



تعتمد صلاحية المياه للزراعة، على كمية ونوعية الأملاح المنحلة والذائبة فيها

السمية والملوحة :

يمكن ان تظهر مشاكل السمية حتى في حالات التراكيز المنخفضة الشوارد مثل الكلوريدات، والصوديوم، والبورون، وغالبا ماتترافق السمية، وتزداد خطورتها بوجود الملوحة وارتفاع درجة رشح التربة، وتظهر نتائج التخريب في المحاصيل عندما يزداد امتصاص الجذور لكميات كافية من هذه الاملاح السامة مع الماء حيث تنقل الى الاوراق لتتراكم خلال عمليات التمثل، ويزداد تراكم الايونات في المساحات التي تفقد المياه بشدة وهي اعلى اطراف الاوراق. وتركيز الايونات يحتاج الى وقت بحيث لايمكن متابعة رؤيته بوضوح بالعين المجردة، فدرجة التخريب تتوقف على شدة التسمم، وتركيز الايونات وحساسية المحصول، وكذلك حجم الماء المصروف خلال عملية النتح ، ففي المناخ الحار أو في المواسم الحارة من السنة يجري التراكم بسرعة أكبر مما لو زرع نفس المحصول في مناطق أو مواسم أبرد، حيث لايلاحظ التخريب أو تكون نسبته ضئيلة، وتظهر السمية ايضا من خلال الامتصاص المباشر للايونات السامة عن طريق الاوراق المبللة في اثناء الري بالرش، وأيونات الصوديوم، والكلوريدات هي الايونات الاساسية التي تمتصها الاوراق، والسمية الناجمة عن احدهما أو كلاهما يمكن ان تشكل مشكلة مع بعض المحاصيل الحساسة كالحمضيات. ومن مشاكل نوعية مياه الري زيادة تركيز الأزوت حيث يؤدي الى نمو خضري مفرط وبالتالي يتأخر نضج المحصول. وهناك مشكلة الترسبات الدقيقة على الفواكه والاوراق نتيجة الري بالرش بمياه ذات محتوى عال من البيكربونات أو بمياه حاوية على الجبس أو بمياه حاوية على نسبة عالية من الحديد أو الشوائب المختلفة الموجودة في المياه، وهناك مشكلة خاصة تواجه المزارعين العاملين في الري وهي تعطّل معداتهم الذي ينجم عن استعمال مياه تؤدي الى التآكل أو الى ظهور رواسب على شكل قشرة صلبة، وتعتبر هذه المشكلة هي الاكثر جدية بالنسبة للآبار ومضخات الري، وفي بعض المناطق فان المياه ذات النوعية الرديئة يمكن ان تقوم بتخريب المعدات من الاقنية، ويجب أن تؤخذ بعين الاعتبار المشاكل الناجمة من انتشار الملاريا ويصنف ظهور هذه المشكلة كصعوبة ثانوية ناتجة عن انخفاض سرعة الرشح أو إلى استعمال مياه المجاري

ارامكو السعودية



في الري أو إلى الصرف السيء، وتسبب المواد العضوية المعلقة والرواسب غير العضوية ظهور مشاكل في شبكات الري كانسداد البوابات وفتحات الرش وأنابيب التنقيط، وتعطل المضخات ان لم تكن مزودة بالمصافي الكفيلة بعزلها وتؤدي هذه الرواسب ايضا الى زيادة خفض رشح الاتربة التي هي في الاصل ذات نفاذية بطيئة.

التحكم بملوحة الأرض :

ان التدابير الفنية الزراعية المستخدمة للتحكم بدرجة الملوحة المطلوبة بشكل عام عند زراعة كل محصول تتكرر باستمرار وهي مكلفة بالإضافة الى انها تتطلب جهدا من الفنيين للقيام بها. والهدف من هذه التدابير هو إبقاء درجة الملوحة معتدلة لوقت معين للحصول على عملية ري سهلة تحد من كمية الاملاح في التربة. ويمكن ايجاز هذه التدابير فيما يلي:

تسوية الأرض الزراعية :

من الصعب انجاز عملية التحكم بالملوحة اذا لم تمهد الارض الزراعية بشكل كاف لتعطي توزيعا متساويا للمياه وترشيحا منتظما في جميع اجزائها. وتعطي عملية تسوية الارض مع تغير الانحدار الطبيعي شكلا منتظما، وتنتج كمية كبيرة من التربة المرصوصة ، التي سببتها المعدات الضخمة المستخدمة في عملية التسوية، مما يتطلب حرثها لتفتيتهاوالسماح لرشح المياه المنتظم وتأمين الظروف الملائمة لعملية الغسيل.



استخدام الطرق الحديثة في الري يلعب دوراً مهماً في مكافحة مشكلة الملوحة.

الصرف الجوفي المحسّن:

ان مشاكل الصرف الباطني ومستوى الارض يفقدان عملية التحكم بالملوحة، بسبب وجود الطبقات ذات النفاذية المنخفضة والحواجز الطينية الموجودة تحت الطبقات السطحية من التربة وكذلك طبقة الصخور المتراكمة فيها، وتحدث مشاكل الصرف بسبب رشح مياه المناطق المنخفضة، وتسرب مياه الأقنية، والتحكم بدرجة الملوحة المتعلقة بجريان الماء فوق سطح التربة يتم بايقاف جريانه، كما ان عملية الصرف المطلوبة اساسية للحد من درجة الملوحة في التربة، واستثمار الاراضي الجيدة يتطلب مراعاة عملية الصرف التي تعتبر عملية اساسية لنجاح عملية الري طويل الامد لمشروع أو منطقة زراعية.



تزداد خطورة الأملاح إذا نقلتها مياه الأمطار مرة أخرى إلى جذور النباتات.

الحراثة العميقة :

من الصعب سقاية الأتربة المرصوصة أو الصفائحية بشكل كاف، لأن الصفائح الطينية أو الرملية المضغوطة تحدّ من الرشح العميق المفيد في التحكم بالاملاح، وتكون عملية السقاية ميسرة ، لتوفير حاجات النبات ومتطلبات غسيل التربة ،اذاكسرنا أو فتّتنا هذه الطبقات وجعلناها اكثر نفاذية للمياه. وعملية قلب التربة والحراثة السطحية هي عمليات تحسين مؤقتة وتدوم من ١-٥ سنوات فقط، ولكن بالمقابل تسبب الحراثة العميقة تحسينات دائمة في عملية الصرف الداخلية، وهي مكلفة ولكنها ضرورية دائما لنمو المحاصيل الحولية كالشعير وذلك للسماح للتربة المفتتة بالاستقرار، وتحتاج الارض الى تسوية بعد زراعة محصول أو محصولين، وتؤدي الحراثة العميقة الى تحسّن ملحوظ في انتاجية المحصول في حالات وجود الرواسب الرملية الناجمة عن الرياح أو المياه بشكل كثيف.

الغسيل الإستصلاحي :

عندما تزداد الملوحة وتتجاوز قدرة تحمل المحصول، يكون من الضروري تخفيضها قبل بداية الزراعة. ويمكن



تواجه الزراعة المروية بعض مشاكل الملوحة. كما تتأثر بشدة بارتفاع مستوى المياه الجوفية

أن تتجمع الاملاح خلال اعمال حدثت في السابق أو بسبب ارتفاع منسوب المياه الجوفية، أو غسيل غير كاف يجلب الاملاح للمنطقة . وعلى أية حال يجب خفض تركيز هذه الاملاح في منطقة جذور النبات على عمق (٠.٣) من المتر لتناسب قدرة النبات على التحمل قبل اية عملية زراعية. وفي الأراضي التي تكون فيها ملوحة منطقة الجذور العليا معادلة أو اقل من (١٠-١٢) ملم/سم فان اضافة مياه بعمق (١٠-٢٠) سنتيمترا لسقاية ماقبل الزراعة كالري بالرش أو بالغمر، مع سقاية خفيفة تلي عملية الزراعة ستكون كافية لبدء تحمل محصول الشعير أو القطن. ويعتمد العمق المطلوب من المياه لانجاز عملية الاستصلاح على ملوحة التربة المزروعة وطريقة الغسيل المستخدمة، فكلما زادت الملوحة زاد معها عمق المياه المطلوب، والغسيل المتناوب مناسب لخفض درجة الملوحة اكثر من عملية غسيل التربة المستمر، لكن الفرق يكون في طول الزمن لانجاز هذه العملية، والعامل المؤثرفي هذه العملية هو املاح المياه خلال استصلاح الاراضي بالغسيل، ويمكن ان تزداد فعاليتها اذا كان الماء النافذ الى التربة يمر ببطء ويسمح بصرفه في الاراضي، كما هو الحال في عملية غسل التربة المتقطع وفي حال استعمال عملية التعويم المستمر فان نسبة عالية من الماء المستخدم لغسل التربة يمر خلال مساحات واسعة واخرى ضعيفة فتتراكم الاملاح فيها ويصعب مرور المياه بشكل جيد. لهذا تستخدم طريقة الري بالرش لاعطاء المياه المطلوبة والمناسبة لغسل التربة. ولايمكن التنبؤ بدقة بعمق المياه المطلوب اضافاتها لإنجاز عملية الأستصلاح بالغسيل، ولكن يمكن استخدام المعيار التالي لعملية الغسيل المستمر، اذ ان (٧٠-٨٠٪) من الاملاح الذائبة الموجودة مسبقا يمكن ازالتها باستخدام عمق للمياه مساو لعمق طبقة التربة المراد استصلاحها. وتعتمد نسبة الازالة بشكل كبير على نوعية التربة، ولكن كمعيار عام فان النسبة يجب ان تمثل بشكل معقول في معظم الاراضي المروية، وبالنسبة للري بالرش أو بالغمر المتقطع فان مايقارب (٨٠-٩٠٪) من الاملاح الموجودة مسبقا في التربة ستزال بتطبيق عمق من المياه مساو لعمق من التربة المراد استصلاحها، ولكننا بحاجة لوقت إضافي لانجاز عملية الغسيل، ولاتلعب نوعية التربة دورا مهما عند استخدام الغسيل المتقطع كما هو الحال عند تطبيق الغسيل المستمر. وتتم عملية الري الموضعي بوضع القواذف المائية المتقاربة على القمة المزروعة كما هو الحال في الري بالخطوط، وتستمر السقاية حتى إنجاز عملية الغسيل المطلوبة . وبعد عملية الزراعة يروى المحصول بالري الموضعي، ويمكن ان تكون المنطقة المستصلحة على شكل دائري حيث يكون القاذف في منتصف هذه الدائرة، وتندفع الاملاح الى حواف المنطقة المروية، والمناطق الجافة مابين القواذف، وبعملية التبخر تنتج ملوحة مقبولة على سطح التربة، ويمكن أن تكون هذه الملوحة الناتجة خطرة اذا نقلتها كمية من الامطار مرة اخرى الى منطقة الجذور. واذا لم تكن الملوحة شديدة جدا فان سقاية اضافية خلال عملية نمو المحصول المقاوم للاملاح ستنجز عملية الاستصلاح، ويعتبر الشعير والارز محصولان من المحاصيل المستعملة، ويجب ان يزرع المحصول المستصلح حالما نحصل على ملوحة لطبقة التربة العليا مساوية لقدرة تحمله، ويعتقد إن المحصول يساعد على عملية الاستصلاح باتحاد عدة عوامل منها عمل الجذور الفيزيائي للحفاظ على التربة مخلخلة كي ترشح كميات اضافية من المياه خلالها، وكذلك محتوى المحصول العضوي وتتالي عمليات جفاف ورطوبة التربة التي تعطي تركيباً أفضل لها، ومحاولة ازالة الاملاح من سطحها بالصرف السطحي أو الجريان السطحي، وهذه محاولات غير فعالة نسبيا، والغسيل السطحي سوف يزيل قسما من الأملاح ولكن هذه الكمية المزالة غير كافية لإنجاز الاستصلاح المطلوب ■

المراجع

1-Ayers R.S. and westcot D.W 1976, Water Quality for Agriculture. FAO Irrigation and Drainage, Paper 29, FAO, Rome p97.

2 - Doneen L.D. 1971, Irrigation practice and water management. FAO Irrigation and Drainage, Paper 1. Rome, p84.

العلماء التجّار

بقلم : د. محمد بن عبد الله البرعي
جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

قليل جدا فى التاريخ الاسلامى اولئك الذين جمعوا بين العلم والمال ، فالقاعدة المعروفة هى أن قلة ذات اليد بل والفقر والاملاق هي سمة العلماء الصالحين من سلف هذه الأمة . وقد جمع الشيخ عبد الفتاح ابو غدة اخبارهم في مجلد ظريف يستحق القراءة عنوانة: صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل (١) يقع فى أكثر من ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط تقصى فيه أخبار العلماء القدامى والوقوف على صور حية من أخبارهم في التعب والرحلة فى طلب العلم وقطع المسافات الطويلة للحصول على حديث نبوى شريف واحد ، ثم أخبارهم في هجر النوم والراحة والدعة وسائر اللذات ، الى أخبارهم فى الصبر على الفقر والاملاق وشظف العيش ومرارتة وبيع الملبوسات والمفروشات فى سبيل تحصيل العلم والإستزادة منه .

ومن هنا قال بعض العلماء من السلف «الحكايات جند من جنود الله يثبت الله بها قلوب اوليائه (٢) . وشاهده من كتاب الله تعالى قوله سبحانه عز وجل « وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ». (٣) وقال الامام ابوحنيفة رضى الله عنه « الحكايات عن العلماء ومحاسنهم احب اليّ من كثير من الفقه، لأنها اداب القوم واخلاقهم » (٤) . وشاهده من كتاب الله قوله تعالى : « لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ »

العلم والمال :

من النادر جدا أن يجتمع العلم والمال فى شخص واحد . ولنتذكر ما قاله العالم الفاضل احمد بن فارس بن زكريا الرازي المتوفى سنه ٣٩٥هـ ، أى قبل حوالى ١٠٢٠ سنه من نصيحتة إلى شخص أتى إليه يستشيره فيما يتعلق بمستقبله المهنى والتجارى فقال له ملخصا نصيحته فى هذين البيتين :

وصاحب لي اتانى يستشير وقد
اراد فى جنبات الارض مضطربا
قلت : اطلب أي شيء شئت واسع ورد
منه الموارد إ لا العلم والادبا !

والمعنى واضح ، فالعلم والادب منذ ذلك الزمان « ما يوكل عيش » على تعبير هذا الزمان : لذا قلما نجد علماء اغنياء وكثيرا ما نجد علماء فقراء مملقون لا يملكون قوت يومهم.

صور من حياتهم :

وهذه الصور التى اخترناها من قراءاتنا لسيرهم وحياتهم لعل فى ذكرها سلوى للعلماء المعاصرين الذين اثروا العلم والتدريس والكتب وأثروا عالم العلوم على عالم المال والاعمال والعقار والصفقات . والصعوبة تكمن فى « ان النفس البشريه نزاعة للمال بفطرتها، ومتعلقه به بدافع حاجتها وقد قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم ، وهو يصف الانسان ويكشف عن طويته وجبلّته - وهو خالقة سبحانه والعالم بطبيعتة « وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ »(٥) والمال شقيق الروح كما يقولون .. وان كان العلماءالذين بذلوه، رأوه رخيصا لا يسامي العلم ، ولا يوازى المعرفه وتحصيلها ، فجادوا به اسخياء فرحين اذا غنمو العلم وما ذلك لشذوذ فيهم بكراهية المال ، ولا لجهل منهم بموقعة من النفع فى الحياة ولا لفقد حب المال من نفوسهم ، وانما لغلاء العلم لديهم، ومعزته فى قلوبهم ، ورجاحته كل الرجاحه على المال فى موازينهم وامانيهم » (٦) .

لذا فان النماذج التى نسوقها هنا يجب ان ينظر اليها بمنظار ان بذل المال فى تحصيل العلم وصرف الغالى والثمين لقاء التحصيل العلمى يعطى نماذج مشرقة وحافزة ودافعة للميسورين من طلبة العلم فى عصرنا الحاضر وما بعده ليبذلوا المال بسخاء وكرم، لتزويد انفسهم وغيرهم بالعلم النافع ؛ وتعمير خزائنهم ومكتباتهم بأمهات الكتب والمصادر والمراجع . ومن ظهر له عظم المطلوب ، بذل في سبيله كل مرغوب كما ذكر ذلك الامام ابن هاشم النحوى حيث قال رحمه الله

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله
ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل

وقبلة قال الإمام ابن حزم الظاهرى الفقيه العالم رحمه الله تعالى :

من لم ير العلم أغلى ... من كل شيء يصاب
فليس يفلح حتى ... يحثى عليه التراب

ومن باب الإختصار والايجاز، فاننا سنتكلم عن فئتين من العلماء، الاولى ضحت ببيع العقار، والثانيه انفقت المال والدثور، كل ذلك فى سبيل العلم والتفقه فى الدين .

بيع الدور :

ابو محمد عبد الله بن احمد بن الخشاب الحنبلى البغدادى، الإمام النحوى اللغوى المفسر المقرىء المحدث الاديب (٤٩٢- ٥٦٧هـ) كان ممن يؤثرون العلم على المال. جاء فى ذيل طبقات الحنابلة للحافظ ابن رجب : « ذكر ابن النجار انه لم يمت احد من اهل العلم واصحاب الحديث، الا كان يشترى كتبه كلها، فحصيت اصول المشيخة عنده، وكان لايخلو كمه من كتب العلم ». وذكر عنه أنه اشترى يوما كتبا بخمسمائة دينار، ولم يكن عنده شيء ، فاستمهلهم ثلاثة ايام ، ثم مضى ونادى على داره ، فبلغت خمسمائة دينار، فقصد صاحبها اى صاحب الكتب، وباعه بخمس مئه دينار ووفى ثمن الكتب، وبقيت له - اى لصاحب الكتب - الدار ولما مرض اشهد عليه بوقف كتبه فتفرقت، وبيع اكثرها ولم يبق الاعشرها فتركت فى رباط المأمونية وقفا ». (٧)

عبد الله بن المبارك العكبرى المعروف بابن نيال (توفى ٥٢٨هـ) المقرىء الفقيه الحنبلى المكنى بأبى محمد « سمع الحديث من ابى نصر الزينبى .. وتفقه على ابى الوفاء بن عقيل، وابى سعد البردانى، وكان يصحب شافعا الحنبلى ، فأشار عليه بشراء كتب ابن عقيل ، فباع ملكا له واشترى بثمنه كتاب «الفنون » وكتاب « الفصول » ووقفهما على المسلمين ، وكان خيرا من اهل السنه رحمه الله تعالى » . وقد علق الشيخ عبد الفتاح ابو غده بكلمات جميلة على هذه الحادثه اقتبسها هنا : « لله در هذا الفقيه . ما افهمه فى امور الاخرة ايضا: فقد باع ما يخرب ويفنى، واشترى ما يستمر الاجر فيه ويبقى، احسن الله اليه، ورضوان الله عليه » .

إنفاق النقود :

الإمام يحيى بن معين البغدادي (١٥٨-٢٣٣هـ) شيخ البخاري ومسلم وسواهما من ائمة الحديث ، كان ابوه (معين) كاتبا لعبدالله بن مالك ، ثم صار على خراج الري، فمات وخلّف لابنه (يحيى) الف الف درهم وخمسين الف درهم ، فأنفقها يحيى كلها على الحديث ، حتى لم يبق له نعل يلبسه !

الامام الفقيه المجتهد محمد بن الحسن الشيباني الكوفي ، تلميذ الامام ابي حنيفة (١٣٢-١٨٠هـ) رحمه الله تعالى ، قال « ترك لي ابي ثلاثين الف درهم ، فأنفقت خمسة عشر الفا على النحو والشعر ، وخمسة عشر الفا على الحديث والفقه » .

الامام اسماعيل بن عياش الحمصي ، محدث الشام ، احد الاعلام ، حدّث عنه من القدماء الاعمش وغيره خلق كثير (١٠٦-١٨٢)هـ . وفد على المنصور فولاه خزانة الثياب . وكان محتشما نبيلا جوادا ، وكان من العلماء العاملين : قال يحيى ابن صالح : سمعت اسماعيل يقول : « ورثت من ابي أربعة الاف دينار ، انفقتها في طلب العلم» .

عبدالرحمن بن قاسم العتقي المصري احد اصحاب مالك والليث وغيرهما (١٣٢-١٩١ هـ) وقصته مع مالك مهمة جدا ، اوردها كما هي علها تكون حافزا لطلاب اليوم ، قال ابن القاسم : كنت آتي مالكا غلسا فأسأله عن مسألتين ، ثلاث ، اربع ، وكنت اجد منه في ذلك الوقت انشراح صدر ، فكنت آتي كل سحر .

فتوسدت مرة عتبته ، فغلبتني عيني فنمت ، وخرج مالك الى المسجد ولم أشعر به ، فركلتني جارية سوداء له برجلها وقالت لي : ان مولاك قد خرج ، ليس يغفل كما تغفل انت ، اليوم له تسع واربعين سنة ، قلما صلى الصبح الا بوضوء العتمه - ظنّت السوداء انه مولاه من كثرة اختلافه اليه .

قال ابن القاسم : « وأنخت بباب مالك سبع عشرة سنة ، مابعت فيها ولا اشتريت شيئا ، قال : فبينما انا عنده ، اذ اقبل حاج مصر ، فاذا شاب متلثم دخل علينا ، فسلّم على مالك ، فقال افيكم ابن القاسم ؟ فأشير اليّ ، فاقبل يقبل عيني ، ووجدت منه ريحا طيبة فإذا هي رائحة الولد وإذا هو ابني ، وكان ابن القاسم ترك امه حاملا به ، وكانت ابنة عمه ، وقد خيّرها عند سفره لطول اقامته ، فاختارت البقاء » .

قال ابن الوضاح : « انفق ابن القاسم في سفرته الى مالك الف مثقال ، وقال الذهبي : « وبلغنا عن ابن القاسم قال : خرجت الى الحجاز اثنتي عشرة مرة ، انفقت في كل مرة الف دينار » .

فيا للعجب ! من الإصرار على تلقي العلم ولزوم العلماء هذه السنوات العديدة وعلى بذل الغالي والثمين في سبيل تحصيل العلم ، وعلى صبر النساء والزوجات هذه السنوات الطويلة دون طلب المفارقة والطلاق .

وخير مانختم به مقالنا ملخص قصة « ربيعة الرأي » التي تناولها القاضي محمد سليمان في كتابه القيّم « من اخلاق العلماء » (٨) : « وأكثر من هذا ماصنعته أم «ربيعة الرأي» شيخ الإمام مالك ، التابعي الجليل المتوفي سنة ١٣٦ هـ رحمه الله تعالى ، فإن هذه المرأة انفقت على تعليم ولدها ثلاثين الف دينار ، خلفها عندها زوجها فروخ مولى آل المنكدر وخرج إلى الغزو ، ولم يعد اليها الا بعد ان استكمل ولده «ربيعة» الرجولة والمشيخة ، وكانت امه قد اشترتهما له - اي الرجولة والمشيخة - بمال أبيه الذي خلفه عندها ، فأحمد الرجل صنيعها ، وأربح تجارتها ، كما ذكرها ايضا الخطيب في «تاريخ بغداد» (٩) والقاضي ابن خلكان في كتابه «وفيات الاعيان» والذهبي في

«سير أعلام النبلاء» .

وقد أثنى الاب على حكمة زوجته وقال لها بعد ان رآه متصدرا مجلس العلم : «لقد رفع الله ابني ، ورجع الى منزله ، وقال لوالدته ، ورأيت ولدك على حالة ما رأيت احدا من اهل العلم والفقه عليها ، فقالت أمه : فأيما احب اليك : ثلاثون ألف دينار ، او هذا الذي هو فيه من الجاه ، فقال: لا والله بل هذا، فقالت: إني قد انفقت المال كله عليه ، قال : فو الله ماضيعته».

لله در هذه السيدة الفاضلة ، التي تستحق اجمل الالقاب وأفضل الصفات ، فقد ضحت بالمال الزائل ولو بلغ ثلاثين الف دينار في سبيل العلم والتفقه الذي يظل ذكره خالدا في التاريخ . فبالله عليك ، لو ان هذه السيدة استثمرت كامل المبلغ في تجارة أو عقار ، هل سيبقى ذكر ابنها «ربيعة الرأي» على مر الزمان والدهور ؟ فهي حقا استثمرت المال استثمارا مجديا ، ولذا ، وافقها زوجها بقوله لها « لا والله بل هذا » .

يموت قوم فيحيى العلم ذكرهم

والجهل يلحق امواتا بأموات

وقد ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء عند ترجمة سيرة ربيعة الرأي (١٠) انه انفق على اخوانه اربعين الف دينار، ثم جعل يسأل عن حاجات اخوانه .

ان «ربيعة الرأي» هذا هو صاحب الفتوى بالمدينة المنورة وقد ادرك بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والاكابر من التابعين ، وكان فقيها عالما حافظا للفقه والحديث . وكان قد قدم على ابي العباس السفاح بالانبار ليوليه القضاء فيقال انه توفى بالانبار ويقال توفي بالمدينة عام ١٣٦هـ .

وقيل فيه : مارأيت أحدا افطن من ربيعة بن ابي عبدالرحمن . وقيل في حقه : هو صاحب معضلاتنا ، وعالمنا ، وأفضلنا . وقيل : ما رأيت احدا اسدّ عقلا من ربيعة (١١) . وقال مطرف بن عبدالله : سمعت مالكا يقول: ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة بن ابي عبدالرحمن (١٢) .

وبعد ، لعل في هذه المقتطفات والاخبار مايحفز طلاب العلم في الوقت الحاضر ويشحذ فيهم الهمم ويشعل العزائم ويثير الروح الوثابة ويقدح المواهب ويقوّم الاخلاق مصداقا لقول الشاعر :

ومن تكن العلياء همة نفسه

فكل الذي يلقاه فيها محببُ !

الخلاصة :

لقد عكست الحوادث التي قدمناها في هذه المقالة بعض المزايا التي كان يتحلى بها هؤلاء النبلاء والفضلاء من الرعيل الأول ، بيّنت إن العلم يذكر أهله على وجه الدهر ، ولو كانوا في حياتهم فقراء مملقين معوزين ، واذا كان العدم لحق بهم ، فانما لحق بهم في مظاهر الحياة الماضية الزائلة ، ولكنهم عاشوا بعد موتهم اغنياء بالذكر الحسن ، والسيرة العطرة ، والعلم الذي ينتفع به ، وكانوا الى جانب ذلك القدوة الحسنة لمن بعدهم في التذرع بالصبر عند الشدائد (١٣) .

جمال ذي الارض كانوا في الحياة وهم

بعد الممات جمال الكتب والسير

فمن العلماء من باع الدور وصرف الكثير من الدثور ، وبذل الاموال الوفيرة ، والالوف المؤلفة من الدراهم والدنانير في سبيل نيل العلم وتحصيله ، وتمتينه وتأصيله وتوثيقه ، وشراء كتبه وادواته ، مقابل ما حصل عليه من العلم والمعرفة ولقاء الشيوخ والعلماء ، فاختار الفقر مع العلم ، وكان أحب اليه من الغنى واليسار مع الجهل ، تمييزا منه ومعرفة بالنفيس والرخيص ، وكما قال الامام السبكي : من عرف مايطلب هان عليه مايبذل (١٤) والعلم أغلى مايباع ويوهب .

لكن مع كل ذلك يجب أن نبين بما لايدع مجالا للشك انه لم يكن هدفنا من تقديم هذه النماذج الدعوة الى الزهد واعتزال انشطة الحياة الاقتصادية بشكل خاص والحياة العامة بشكل عام ، انما الهدف من ذلك تقديم نماذج وصور حية من اولئك الذين فضلّوا العلم على الإشتغال بالتجارة ، وأثروا التحصيل على الانخراط في عالم المال والعقار . انهم لم يلزموا غيرهم بذلك ، ولم يدعوا غيرهم لاقتفاء اثرهم ، بل هو طريق شخصي وخاص امنوا به واختاروه لأنفسهم دون الزام لغيرهم .ولذلك فقد خلدهم التاريخ على مر العصور والدهور في حين انه اغفل اصحاب العقار والدور ممن كانوا في عهدهم وفي زمانهم.

إن الاسلام يحث على الكسب والتجارة شريطة ان لاتلهي عن ذكر الله واقامة شعائر الاسلام من صلاة وزكاة وصوم وحج وغير ذلك . ولنا في السلف الصالح خير مثال على ذلك .

فمن كبار تجار الصحابة كما هو معروف : ابوبكر الصديق، وعثمان بن عفان ، وعبدالرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيدالله وغيرهم كثير . ولكن مع تجارتهم الرائجة وإنفاقهم في سبيل الله وتموينهم الغزوات على عهد رسول الله ، ظلوا محافظين على تعليمات الرسول وقد وصفهم القرآن الكريم بقوله سبحانه: « فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ۞ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ۞ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ » (١٥) ■

الهوامش والحواشي :

١ – انظر عبدالفتاح ابوغده ، صفحات من صبر العلماء على شداد العلم والتحصيل – حلب مكتب المطبوعات الاسلامية ١٤١٣هـ/١٩٩٣م الطبعة الثالثة .

٢ – المرجع السابق ص ١٧ .

٣ – الآية ١٢٠ من سورة هود

٤ – ابو غده ، المرجع السابق ص ١٧.

٥ – الايه ٥ من سورة العاديات

٦ – ابوغدة المرجع السابق ص ٣٠٥ .

٧ – ابوغدة ، المرجع السابق، ص ٣٢١-٣٢٢ .

٨ – القاضي محمد سليمان ، من اخلاق العلماء .

٩ – القصة بكاملها في تاريخ بغداد للحافظ ابي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي ، المجلد٨ ، ص ٤٢٠-٤٢٣ ترجمة رقم ٤٥٣١ . وفي سير اعلام النبلاء للحافظ الذهبي، المجلد ٦ ، ص ٩٠-٩٣ .

١٠– الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، المجلد ٦ ، ص ٩٠-٩٣.

١١– تاريخ بغداد ص ٤٢٠-٤٢٦ .

١٢– الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ص ٩١ .

١٣– ابوغدة ، المرجع السابق، ص ٣٧٢ .

١٤– ابوغدة ، المرجع السابق، ص ٣٧٢-٣٧٣ .

١٥– الايات ٣٦-٣٨ من سورة النور .

المصادر والمراجع :

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي .
تذكرة الحفاظ للذهبي
تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر
ذيل الجواهر المضية لعلي القاري
سيرة اعلام النبلاء للذهبي
صفحات من صبر العلماء لعبدالفتاح ابي غدة
من اخلاق العلماء للقاضي الشيخ محمد سليمان
المنهج الاحمد في تراجم اصحاب الامام احمد للعليمي
ميزان الاعتدال للذهبي

ظلال المنازل الهاربة

بقلم الأستاذ : شوقي بزيع - لبنان

وسط هذا الكون الشديد الاتساع كان الإنسان ينزع دائما الى الأماكن المغلقة التي تستر عريه وخوفه وتحميه من التبعثر والتلاشي . لذلك لم يكد يخرج من الرحم حتى راح يبحث عن الكهف مستبدلا أمومة المرأة بأمومة الصخر وملتجئا إلى ما يعطية ذلك الشعور بالأمان الذي افتقدة . بعد ذلك بنى الانسان منازل وبيوتا لكي ينزل سقف الفضاء المفتوح على اللانهاية إلى مستوى يستطيع معه أن يخلق فضاءه الآخر المصنوع من الطين واللّبن والخشب ، قبل أن يهتدي إلى الاسمنت .

كأن المنازل استعادة دائمة لشروط الولادة الأولى ، لذلك راح الكائن الانساني المخلوق من الماء والطين يستعيد مع المنزل طين الحياة وماءها ودفئها . واكثر المنازل دفئا هي تلك القريبة من المهد والموصولة بالطفولة ، لهذا لم يكن غريبا ان يحتفي الشعر ، خاصة العربي ، بأماكن اقامته ربما لان تلك الاماكن تحتوي على الزمن مكثفا أو تجسده في زوايا وأحجار وعناصر ملموسة وكلما تقادم الزمن تحولت هذه الاماكن الى طواطم . وليست بعيدة عن الذاكرة تلك البيوت الدارسة التي حولها الوجدان الشعبي الى رموز ومقامات راح ينشد حولها القصائد « لك يا منازل في القلوب منازل » يقول الشاعر العربي فالمنازل تتدرج في مراتبها حسب تقادم الزمن وفواته . وهي تحتل مراتب متفاوتة الابعاد وفقا لمراحل سكناها المتعددة . والمنازل القديمة هي الأكثر حظوة . لذلك فهي تترك في الروح كمية أوفر من الاصداء والترجيعات.

لطالما تغذى الأدب والفن من هذا الإرتحال الدائم إلى منازل الصبا حيث الحنين يظل شاخصا باتجاه « أول منزل » كما يعبر الشاعر نفسه. وفيما تعود الروح القهقرى تتحول الى نوع من كرة الثلج الذاهبة عكسيا في الحياة.

يتأسس العمر في حضن المنازل الاولي التي تكتسب فيما بعد قدرة فائقة على توليد الظلال والاشباح والأحلام .ولعل الفيلسوف الفرنسي باشلار في كتابه «جماليات المكان » هو أبرع من تمثل تلك المشاعر التي تولدها البيوت في الروح الإنسانية . فنحن حين نحلم بالبيت الذي ولدنا فيه ، «ننخرط في ذلك الدفء الاصلي ، في تلك المادة الاولى لفردوسنا المادي » حسب قول باشلار.

ثمة طعم واحد للبدايات . طعم لا نحسّه في البيوت الأولى وحسب بل في الحبيبة الاولى والخطوة الاولى والقصيدة الاولى . « فالحب ليس إلا للحبيب الأول » عند الشاعر العربي الذي ربط بشكل محكم بين الحبيبة والمنزل فالمنزل سكن الإنسان وسكينته . والمرأة بالنسبة للرجل سكنه الاخر وملاذه . وهو مفهوم أثبته القرآن الكريم في قوله تعالى :«ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها، وجعل بينكم مودة ورحمة » كما ذهب الشعر الى المعنى نفسه . فالنساء «قرانا الصغيرة نسكنها خائفين، ونسكنها عاشقين ».

ليست المنازل التي نسكنها سوى تنويع على المنزل الأول، تماما كالنساء اللواتي نحبهن . إنهن تنويع على المرأه الواحدة كما يرى جودت فخر الدين . والحياة في جوهرها « أقل من امرأتين » عند حسن عبد الله . المنازل والنساء بهذا المعنى ينابيع تتدفق دائما من المكان ذاته ، من المساقط الاصلية لشرايين الأماكن والافئدة . ومايلي ذلك ليس الا المجرى الأبديّ المتواصل مع لحظه الخلق نفسها .

تتحول المنازل مع الزمن إلى طلول . لكنها طلول لا تدرك بالعين فقط لأنها لاتبتعد في المكان وحده بل تبتعد في الزمان ايضا . وتتعذر استعادتها بالوقوف عليها كما فعل امرؤ القيس ومن بعده . إنها تغيب خلف سديم السنوات . وهي لو ظلت على ما هي عليه فان الانسان



الرائي لا يظل هو نفسه بل ينظراليها من وراء تجاعيد الوجه والقلب « وتلفتت عيني فمذ خَفِيتْ / عني الطلول تلفت القلب » يقول الشريف الرضي هكذا تصبح الحياه التفاتا دائما الى المكان الذي لا يني يتدفق شعرا وحسرات. فالمنزل لا يعود جدرانا بعينها بل إشارة الى زمن لايعود. لهذا تصبح القرية بالنسبه للأجيال التي هبطت من قراها الاصلية باتجاه المدن المحتشدة مكانا تصعب استعادتة. وقد باتت الرومنطيقية في بعض وجوهها استدعاء دائما للمكان الأصلي. استدعاء يشير الى الفقد المرتبط بجنّة اكتملت خسارتها. ولا تنفع في شيء عودة الانسان المتأخرة الى قريته. فالقريه مذ نغادرها تتحول الى شعر وتدخل في نسيج المخيله المفتوحه على البوح والشجن وحين نعود اليها بالجسد نحس اننا اكثر ابتعادا عنها لأننا نكف عن رؤيتها بعيني الماضي المصممتين على قياس المشهد.

الأوطان الضائعة هي قبل كل شيء منازل محاطة بحدائق وحقول تترامى على امتداد النظر. وما الاندلس وفلسطين الا وجهين لهذه الحقيقة الواحده. وهو ما حاول امين معلوف ان يقوله ببراعة في رائعته الروائية «ليون الأفريقي» حيث تم السقوط من المنزل الى الهاويه ومن الصخرة الى لجّة المياه. وفي الشعر الفلسطيني إحساس دائم بهذا الفقد الذي تمثل عند محمود درويش عبر ذلك الحديث المكرر عن الاماكن التي لا تشبه المنزل في شيء والتي تتجسد في الموانيء والصحارى والمطارات، حيث لايبقى من المكان سوى بقجة تشير اليه وحيث يتحول الفلسطينيون في مطار أثينا الى مقاعد فوق المقاعد. وفي مقابلة مع توفيق زياد يروي كيف بنى الفلسطينيون الذين هدمت قراهم بالكامل بيوتا مجاورة للبيوت الاصلية وكيف جعلوا تلك البيوت مماثله تماما للبيوت الأم وجعلوا لها نوافذ تطل على منازلهم الأولى التي سويّت بالارض.

لعل التجربة الأكمل في هذا السياق هي تجربة بدر شاكر السياب. فقد قدم هذا الشاعر الفذ تجربة قلّ نظيرها في العلاقة بالمكان واهله. فالمنزل عند السياب لم يعد مجرد جدران مقفلة على نفسها بل هو إعادة صياغة لمفهوم الجنة كما يتصورها الخيال الشعبي. إنه قرية كاملة من الاحاسيس والذكريات والخطى والاحلام. لقد جعل للمنزل فضاء وحدائق وغابات نخيل يجري من تحتها نهر « بويب ». واذا كان بويب مجرد ساقية صغيرة في ضواحي جيكور فقد استحال عبر الشعر صفحة مياهٍ هائلة تترقرق فوقها حياة زاخرة بالفتنة والبهاء.

لقد شرع السياب منزل الطفولة في جيكور على ساحة العيش الواسعة. والشباك الذي رسمه الشاعر في كوة منزلة غدا نافذة للاتصال بالعالم تتدرج في اتساعها من شباك وفيقة حبيبته الأولى إلى شبابيك مزروعة بوجود حبيبات مماثلات في الهند والصين وسائر بلاد العرب والعجم. وقبله بقرون كان عمر بن ابي ربيعة قد تحدث عن عشيقات يرقّعن الكوى بالمحاجر بانتظار أميرهن الوسيم. واذا كان السياب قد اكتفى بالحديث عن النافذة في منزله الريفي فهو قد اضاف الى منزل الصبا في البصرة شرفات وشناشيل جعلها عنوانا لاحدى أبرز مجموعاتة الشعرية. لقد غدت هذه الشناشيل اطلالة على العالم الواسع ورمز الانتظار الابدي لإمرأة لا تأتي، او حرية لا تتحقق الا بالموت.

النافذة هي عين المنزل المفتوحة على ماوراء الجدران. والشرفة هي تجاوز المنزل نحو اقامة أرحب يخرج فيها الجسد من عزلتة مستطلعاً العالم الخارجي أو منتظراً قدومه. وغالبا ما تكون الشرفة رمزاً لحرية غير متحققة وتعطشا الى هدم جدار العزلة وانتهاكه.

في لبنان لم تعد المنازل بيوتاً صالحة للأقامة ولاحصوناً ملائمة للحماية والأمن وليست النوافذ والشرفات وحدها هي التي سقطت تحت وطأة الموت الزاحف، بل ان الجدران نفسها تحولت الى فاصل هش بين الداخل والخارج. الملاجيء الرطبة وحدها هي التي انتصرت في الحرب وانكمش الجسد الى أبعد حدوده. باتت المنازل أجسادا مبتورة الامعاء والكوى التي رقعتها ذات يوم محاجر العشاق اصبحت فجوات مشرعة على الخوف والرعب والقذائف المتساقطة. انتصرت الدهاليز والأروقة والطوابق السفلية على الشرفات المطلّة والطوابق العالية وعاد الإنسان الى كهفه الاول من جديد.

سقطت المنازل كأوراق الخريف، وبات ثلث البشر على الأقل مهجّرين بين منازل ذهبت ومنازل لا تجيء. أما المنازل التي نجت من الزلزال فقد صارت أقرب الى النّزل، حيث المكان نزول مؤقت بين هجرة وهجرة ■



المراكب الشراعية

اعتمد سكان الخليج في بدايات إبحارهم على
المنطقة، فاستخدموا جذوع النخيل والسدر
متمسكين بالمراكب القنبارية أي المخرزة بخيوط
ويعود تمسكهم بالسفن القنبارية لكون البحار ال
المرجانية، وتنتشر فيها المياه الضحلة التي يب
المركب مخيطا وجنح أو صدم الشعاب لا ينكس
المركب المسمّر الذي تتحطم ألواحه حال اصطد

لاحظ بعض الرحالة العرب والاجانب ميزة المراكب المخيطة في اثناء سفرهم فيها، فابن جبير يروي إن السفن في مرسى «عيذاب» تخرز بخيوط من القنبار، وهو قشر جوز الهند ثم تخلل بدسر من عيدان النخيل، ثم تسقى بالسمن أو دهن الخروع، أو بالدهن المستخرج من القرش، حتى يلين عودها ويرطب لكثرة الشعاب المعترضة في هذا البحر ولذلك لايصرفون فيه المركب المسماري.

ويقول ابن بطوطة: «القنبر بفتح القاف وسكون النون وفتح الباء الموحدة والراء، وهو ليف جوز النارجيل، وهم يدبغونه في حفر على الساحل ثم يضربونه بالمرازب، ثم تغزله النساء وتصنع منه الحبال. وبهذه الحبال تخاط مراكب الهند واليمن، لأن ذلك البحر كثير الحجارة، فان كان المركب مسمرا بمسامير الحديد، صدم الحجارة فانكسر، واذا كان مخيطا بالحبال أعطى الرطوبة فلم ينكسر».

إن ضعف بنية المراكب القنبارية وصغرها وبساطة عدتها، لم يقلل من اهميتها في نقل تجارة الشرق والغرب، فيما بين منطقة الخليج والهند وشرق افريقيا، عبر خطوط ملاحية بعيدة المدى. ومن الشواهد على اتساع نشاط العرب التجاري البحري، انتشار الاسلام في سواحل الهند وسيلان وجزر الهند الشرقية على يد التجار العرب في القرن الاول للهجرة.

وبات نشاط المراكب العربية - في العصر العباسي - يغطي النصف الشمالي من المحيط الهندي، ويمتد شرقا الى ساحل الصين الجنوبي. وفي القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) وصلت المراكب العربية، الى جزيرة (بورني) وجزر (تيمور)، وبلاد الصنف (فيتنام)وكمبوش (كمبوديا) وجنوب الصين. ووصلت اطرافها الغربية الى سواحل شرق افريقيا: من (القصير) شمالا الى (سفالة)جنوبا. وفي وسط المحيط الى جزر ذيبة المهل (مالديف) وجزر الفال (الكاديف) وجزر القمر.

وبعد سيطرة الدول الاوروبية على التجارة في المحيط الهندي، انتشرت السفن العربية المسمارية، وراح بناة السفن الخليجيون يدخلون في تصاميم مراكبهم اشكالا مختلفة من المراكب الاوروبية، واستمر هذا الحال في منطقة الخليج الى أن طغت المراكب المسمارية على انواع المراكب العاملة.

وفيما يلي عرض لأنواع المراكب التي عرفت في منطقة الخليج:

أولا - القنباريات:

ينقل الاستاذ حسن صالح شهاب عن الجاحظ ان الحجاج كان أول من أجرى في البحر السفن المسمرة غير المخرزة والمدهونة والمسطحة غير ذوات الجؤجؤ. ويرى الباحث ان هذا الخبر هو اقدم اشارة في المصادر العربية الى شكل هيكل السفينة وطريقة بنائها في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي). فهي مخيطة مطلية بالدهن، قاعدتها حادة على شكل

لقطة تحمل دلالات تاريخية كثيرة لجالبوت الت خدمته للزوال يستظل في كنف قلعة عبد الو

في منطقة الخليج

بقلم : د. مسلم الزيبق - الامارات العربية المتحدة

ارب المصنوعة من المواد المتوفرة في سواحل
ـرظ في بناء هيكل القارب.وبقي عرب الخليج
قنبار الى مابعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح.
انوا يسافرون عبرها كثيرة الصخور والشعاب
مقها باعا واحدا في بعض الاماكن . فإذا كان
ـهولة بسبب مرونة الخياطة ولينها، فخلاف
الشعاب بسبب صلابة المسامير وقساوتها.


أرامكو السعودية

الجؤجؤ، وليست مسطحة كالمراكب المسمارية في البحر المتوسط.

ولعل كثرة حوادث عطب وغرق السفن ذوات الجؤجؤ في رأس الخليج العربي بسبب سهولة انغراز قاعدتها الحادة، وجنوحها في المضاحل هناك، كان السبب الذي جعل الحجاج يحاول فرض استخدام السفن المسمرة ذوات الغاطس المسطح العريض الذي يمكن ان يطفو على المياه الرقيقة وعبور المضاحل الخطرة.

وليس هناك وصف مفصل أو صورة يمكن الاعتماد عليها لتبين شكل هيكل السفينة المخرزة العربية سوى مخطوط (مقامات الحريري) الذي نسخه الواسطي سنة ٦٣٤هـ (١٢٣٧م)، حيث نجد رسما لسفينة ركاب مخرزة تعطي فكرة تقريبية عن الشكل العام للمراكب في ذلك العصر بمنطقة الخليج.

أنواع المراكب القنبارية :

السنبوك (السنبوق): من المراكب القنبارية القديمة التي ورد ذكرها في رحلات ابن بطوطة. ويستخدم هذا المركب في الصيد والغوص، كما انه استخدم في العهد الطولوني لنقل الحجاج والعمليات الحربية بالبحر الاحمر، اضافة الى الاستفادة منه في الرحلات التجارية البعيدة المدى. ويذكر السنبوك المخيّط في المصادر اليمنية ضمن اصناف المراكب العربية التي كانت تتعرض لهجمات الاساطيل البرتغالية، وورد ذكره ايضا ضمن الاسطول الذي كان قد جهزه السلطان بدر بوطويرق في (المهرة).

وتختلف مقدمة السنبوك عن مقدمة (الجالبوت). فالعمود الامامي للسنبوك عبارة عن قطعتين من الخشب الساج، متصلتين ومكونتين مقدمة ترتكز على القاعدة بزاوية معينة (حوالي٤٥°)، وبها قليل من الاستدارة الى الخارج، تنتهي بطرف علوي ذي شكل مميز يدعى (الساطور).

أما مؤخرة السنبوك فهي تنتهي برقعة مزينة بالنقوش المحفورة الجميلة، ويظهر عمود المؤخرة مثبتا بها وبالقاعدة ، حيث يعلق (السكان)* على طول امتداده بمفاصل من النحاس، وينتهي طرفه العلوي بشق يدخل فيه عمود (الكانة) لتوجيه الدفة.

والسنبوك مزود بصار كبير وآخر صغير ، بالإضافة إلى عدد من المجاذيف. ويبلغ طوله الاجمالي حوالي ١٢٠ قدما، كماتتراوح حمولته مابين ١٥ - ٦٠ طنا. وهو نوعان.

أ - السنبوك العماني : اكبر حجما من الكويتي، ويستخدم لأغراض السفر وليس للغوص لصيد اللؤلؤ.اما دفته فهي ليست على طول عمود المؤخرة، وانما في الجزء السفلي من الرقعة (يشبه بذلك سكان البغلة).

ب - السنبوك اليمني : طول قاعدته النسبي يجعله أكثر ثباتا في الماء. وتختلف الرقعة قليلا في شكلها عن رقعة



ما يزال المركب الخشبي التقليدي، يحتفظ بسحره الخاص الذي يعود بنا القهقري إلى المجد العربي القديم.

السنبوك الكويتي، وكذلك المقدمة. كما ان هذا النوع يستخدم في النقل البحري وليس للغوص.

* البدن : اكثر المراكب العمانية شهرة، ومايزال يستخدم حتى اليوم. يستفاد منه في صيد الاسماك والنقل البحري، ويمكن تمييزه بالصدر البارز الذي يشبه مقدمة الشونة الاوروبية، وبمؤخرته العالية التي تثبت عليها الدفة بالحبال.

يبلغ معدل طوله حوالي ٤٥ قدما وحمولته ١٥- ٤٠ طنا. ورأس المقدمة بارز مدبب يمتد افقيا فوق خشبة المقدمة العمودية ويتكون من اطراف الالواح العليا المثبتة افقيا تقريبا على الجانبين، وتستخدم هذه الالواح كممشى للبحارة في طرفي المركب.

وليس للبدن سطح، لكنه يبطن بحصير من سعف النخيل. اما سكانه فهو يشبه سكان كل من البتيل والبقارة، اذ انه عبارة عن لوح دقيق الطرف يزيد طوله على عود المؤخرة، ثبتت عند منتصفه تقريبا قطعة معقوفة من الخشب الصلب يربط بها حبلي السكان. وعند شد صاحب السكان لأحد الحبلين تحرك القطعة المعقوفة خشبة السكان، وهي تمثل ذنب الحصان في مؤخرة (البتيل).

ويتم نزع (الدفة) عادة بشكل جزئي لتثبت على جانبي المؤخرة في حال عدم إستخدام المركب، كذلك عندما يكون راسيا في الميناء. وهذا ضروري لأن البدن قليل العمق، ولكنه عند الدفة اكثر عمقا في الماء من قاعدة المركب وذلك لحفظ توازن المركب عند السير، اذ تؤدي الدفة نفس الدور الذي تؤديه القاعدة.

ويزود هذا المركب عادة بصار عمودي فريد في طريقة تثبيته، ولكن هناك نوع آخر من البدن يستخدم في التجارة عبر البحار، له صاريان، ويسمى (العويسة). ولذا فان الطراز الذي يجمع بين مركب البدن والعويسة يمكن ان تتراوح حمولته بين ٢٠ و١٠٠ طن.

* العيكار أو العكيري : وهو من المراكب الخفيفة التي يمكنها مغالبة الامواج والسفر في الظروف التي لاتلائم المراكب الكبيرة الثقيلة. ولذلك فقد استخدم في النقل التجاري الخفيف، وفي القتال كالطراد والطليعة.

* الغراب : نوع من السفن الخفيفة التي كانت تستخدم في القتال ، ولايوجد مايدل على انها كانت تستخدم في النقل التجاري. وللصغير منه شراع ومجاذيف.

* الجلبة :هذا النوع من المراكب العربية المخيطة اشتهرت ببنائه شواطئ البحر الاحمر وخليج عدن. وقد وصف ابن جبير طريقة بنائها، وذكر ان الخشب الذي تصنع منه كان يأتي من الهند واليمن. وان شراعها من الحصير.

وتبنى «الجلبة» بأحجام مختلفة طبقا لاستخداماتها المتعددة. كما ان (السكان فيها يتم تحريكه بالحبال مثل المراكب القديمة، وقد اشار الى ذلك المقدسي في كتابه (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم).

* الطرّاد : اطلقت على انماط مختلفة تميزت جميعها بالخفة والسرعة. والطراد الذي كان يصنع في ساحل المهرة يختلف عن الذي وصفه ابن بطوطة والمقريزي، كما يختلف عن طراد ابن ماجد. فالمركب الذي وصفه ابن بطوطة والمقريزي استخدم في نقل الخيل والفرسان، اما الطراد المهري فقد استخدم في النقل الساحلي الخفيف والقتال ومطاردة السفن الهاربة. في حين ان طراد ابن ماجد هو على الاغلب نوع مختلف عنهما، اذ انه اشار إلى أن هذا النوع لايصلح لمغالبة الامواج كالعيكار والمراكب الخفيفة الاخرى.

* الزاروق : من السفن الصغيرة السريعة، التي استخدمت للأسفار المتوسطة وصيد الاسماك والغوص. وتشبه مؤخرة الزاروق مؤخرة الزعيمة وكان هذا سببا في الخلط بينهما، فالاختلاف الذي يميز احداهما عن



أخذت المراكب الشراعية تحل شيئاً فشيئاً مكان المراكب المسمارية ابتداءاً من العصر الوسيط.

الأخرى هو في المقدمة حيث أن صدر (الزعيمة) يشبه صدر سنبوك البحر الاحمر حتى في شعاره. اما مقدمة الزاروق فتشبه مقدمة نوع آخر انقرض من سواحل الخليج.

وللزاروق قاعدة طويلة مستقيمة، ومؤخرة منحنية مثل مؤخرة الزعيمة. اما المقدمة فهي على شكل زاوية مستقيمة، وهي اكثر انخفاضا في ميلها الى اسفل من مقدمة الزعيمة والسنبوك. وجانباها، من اعلى، مفتوحان على شكل جناحين.

وسكان الزاروق مكون من جزئين، أو عودين من الخشب الصلب، نصفه الاسفل غليظ مثبت بالمؤخرة، او (ميل تفر). ونصفة الأعلى رفيع معوج، منفصل عن المؤخرة، وبرأسه ثبت باحكام طرف (الكانة)، وهي العود الذي يحرك السكان.

* الدوانيج : من أنواع السفن التي تستخدم في القتال، وليست من مراكب النقل البحري. ويعد سليمان المهري (الدنجوي) نوعا من الزوارق الصغيرة في المرسى، وهي التي تستقبل المركب وتدخل به الى الميناء. كما ذكر (الدوينج) ضمن زوارق السفينة.

* الورجية : مركب صغير يستخدم في مناطق الصيد القريبة من الساحل. وهو مدبب الطرفين، ومصنوع من جريد سعف النخيل، ومحشو داخله اطراف السعف (الكرب) لكي يطفو على الماء. وللورجية شراع صغير ومجدافان، ويعرف في بعض مناطق الخليج باسم (شاشة). وهو يتسع لشخص واحد او شخصين على الاكثر.

ثانيا - المسماريات :

هي المراكب التي يتم تثبيت أجزائها بالمسامير. ويمكن تقسيم جميع ماعرف من انواع المسماريات في منطقة الخليج الى مجموعتين :

الاولى :ذوات الأعجاز المربعة، وتعرف عند البحارة باسم (الشندة)

الثانية : ذوات الأطراف الحادة ،وتعرف باسم (العنافة).

ذوات الشندة :

١ - البغلة :

أميرة البحار، وسيدة النقل البحري والسفن المسمارية . جاء اسمها تشبيها للبغل الذي يحمل الاثقال ويتحمل الصعاب، حيث كانت خلال القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) من أكثر انواع مراكب النقل الخليجية استعمالا الى ان حل مكانها (البوم) الذي يضاهيها حجما ويفوقها سرعة.

يبلغ طول الحجم الاكبر منها حوالي ١٥٠ قدما، وحمولتها ٤٠٠طن. وقد صنعت لنقل التمور والأخشاب والبضائع عبر بحار عميقة ومكشوفة للرياح.

ويكون سطح البغلة عادة رحبا ليتسع لأكبر قدر من الأحمال، اضافة الى وجود سطح آخر علوي يسمى (النيم). كما ان لها صاريا كبيرا في مقدمتها وآخر في مؤخرتها، وقد تستخدم ايضا صاريا ثالثا صغيرا في المؤخرة يسمى (الشمندي).

وشعار البغلة في رأس مقدمتها الرباعي الشكل، الذي يتوسط قمته نتوء بارز منحوت بيضوي الشكل، تحيط به زخارف متنوعة. وتتصف المقدمة بأنها مدببة الطرف، طويلة، مائلة للأمام، وهي عبارة عن عمود منحن للخارج قليلا ينتهي بطرف علوي يسمى (قبيت) به زائدة مستديرة تسمى (رمانة). ولعل القبيت هو مايميز البغلة عن غيرها من سفن الخليج.

أما مؤخرتها فهي غير مدببة، بل تنتهي برقعة مربعة الشكل تزينها النقوش المحفورة، كما توجد في الرقعة خمسة شبابيك صغيرة تطل على غرفة تسمى (الدبوسة) ينام فيها عدد من الأشخاص او تستخدم لخزن الطعام.

في أسفل الرقعة توجد (الدفة) أو سكان البغلة الذي هو عبارة عن قطعة مستطيلة من الخشب مثبتة بعمود يتصل بها، ويدخل في ثقب اسفل الرقعة حتى سطحها، وهو بذلك يختلف تماما عن سكان (البوم).

استخدم سكان الخليج أنواعاً عديدة من المراكب الشراعية للصيد البحري والنقل التجاري.



ومن أسماء البغلة :(السلامتي، البدري، المنصوري، السالمي، الناصري).

٢ -**الجالبوت** : احدى سفن الغوص التي بنيت واستخدمت في العديد من موانئ الخليج مثل : المنامة، ودارين، والدوحة، وغيرها ويبلغ طولها ١٥ - ٤٠ ذراعا ولاتتجاوز حمولتها ٧٥ طنا.

وتتميز بعمود في مقدمتها مرتكز بشكل قائم، وبمؤخرتها التي تنتهي بمقطع مستطيل الشكل ذي استدارة في زواياه، مما يجعلها اكثر مقدرة على التصدي للأمواج العالية.

تزود (الجالبوت) عادة بصار كبير (دقل عود) وآخر صغير (دقل قلمي)، كما تحتوي على العديد من المجاديف التي تستخدم للتنقل في الأماكن القريبة. واما دفة (الجالبوت) فتمتد على طول عمود المؤخرة (ميل تفرو) الذي عادة مايكون مخفيا خلف الرقعة وله قطعة من الخشب تدخل في طرفه العلوي يمسك بها (السكوني) أو صاحب الدفة وتسمى الكانة. ويلاحظ ان سكان الجالبوت ليس له عود يثبت به بالمؤخرة، وانما توجد له حلق من الحديد مثبتة بالشندة مباشرة تسمى (النخائس)، وتدخل فيها حدائد معقوفة مثبتة بالسكان تسمى (الذكور) ويمكن فصل السكان عنها بسهولة.

يعتقد أن اسم (الجالبوت) مشتق من Gellywatte أو Gallevat وهو الاسم الذي كان يطلق على قارب المياه الضحلة الحربي الذي بقي يستخدم حتى النصف الاخير من القرن الثامن عشر.

٣ - **الفنجة** : تتميز الفنجة بالنقوش والزخارف في المقدمة. وهي عبارة عن نتوء مستدير حفرت به دوائر متحدة المركز يعلوها عرف ثلاثي الاوراق. وبهذا النتوء حلقة من حديد تحل محل منقار البغاء في الكوتية.

ويميز الفنجة العرف الثلاثي العلامة، ولهذا كان من الميسور جدا تحويل مركب الكوتية الى غنجة، بعد تعديل شكل رأس المقدمة وإضافة خلية منقوشة الى المؤخرة. وتشترك الفنجة مع البغلة في ان لها مؤخرة مربعة على غرار مؤخرة الغليون، فيها فتحات خلفية وممرات وان كانت اقل زخرفة ونقوشا، كما ان عرضها اقل بالقياس الى طولها.

٤ - **الشوعي** : من المراكب القديمة التي كانت تعرف عند أهل الخليج باسم (الشلندي)، ويستخدم للغوص بحثا عن اللؤلؤ وصيد الأسماك.

ويوجد تشابه بينه وبين البغلة، لكنه اقرب الى السنبوك بخلاف المقدمة التي تنتهي عادة بطرف علوي يشبه طرف السيف وعلى درجة كبيرة من الجمال.. كما ان مؤخرته (الرقعة) تخلو من النقوش التي توجد في السنبوك، وهي عموما منخفضة بالنسبة لمقدمته. واطراف جانبيه الخلفية بارزة بجانبي مؤخرته المربعة وتشكل مايشبه الجناحين.

ويلاحظ أن عمود المقدمة يتكون من قطعتين دائريتين، فيما يشبه السكان سكان السنبوك المعلق على طوال خشبة العمود الخلفي والبارز أمام الرقعة (فالسنبوك والشوعي يختلفان عن الجالبوت في هذا المجال، حيث أن الرقعة في حالة الجالبوت تخفي داخلها عمود المؤخرة فلا يرى في الخلف).

تلعب القوارب الصغيرة دوراً مهماً في أعمال الملاحة والصيد في المياه الساحلية الضحلة.



وللشوعي صاريان، يحمل الكبير منهما أربعة أشرعة احدهما كبير (العود)، والثاني متوسط (سفديرة)، والثالث صغير (التركيت)، فضلا عن وجود شراع رابع مثلث يعرف باسم (الجيب). اما الصاري الصغير فله شراعين احدهما كبير والآخر صغير.

٥ - **أبو بوز** : يشبه (البدن) الى حد كبير في شكله، ويختلف عن بقية المراكب بمؤخرته شبه المستديرة، ويعد من مراكب الشحن الصغيرة.

٦ - **الشاشة** : مركب صغير بدائي يصنع من سعف النخيل وتربط اجزاؤه بالحبال. يصلح للاتصال مع المراكب الراسية في الميناء ولصيد الأسماك قرب الشواطئ يبلغ طوله عادة حوالي عشرة اقدام.

ذوات العنافة :

* البتيل: كان هذا المركب حتى أوائل هذا القرن شائع الاستعمال في النقل الساحلي. وهو نوع صغير الغاطس، وعليه نقوش دقيقة، ومعروف بسرعته. ولهذا كان يستخدم في الاغراض الحربية عند بعض سكان الخليج ولم يكن من المراكب التي تصلح لنقل السلع والبضائع، رغم ان هذا كان الغرض الاساس منه.

يتميز (البتيل) عن جميع انواع المراكب برأس مقدمته المنحوت على شكل كمان، وخشبة مؤخرته العالية التي نحت من رأسها شعار على شكل حصان. وتكون عمودية، مزخرفة بالنقوش الجميلة، ومزودة بسكان يتم تحريكه بالحبال.

وقاعدة (البتيل) مكونة من جزئين، اي عودين. احدهما وهو الاطول مستقيم في وضع افقي ثبت اسفل المقدمة بطرفه الامامي، والاخر الاقصر مثبت في وضع مائل مابين الطرف الخلفي من العود الامامي المستقيم واسفل عود المؤخرة. من أسماء البتيل :(سعيد ، مصارع ،مساعد، مزيعل).

* البوم : أشهر أنواع المراكب المسمارية في الخليج من حيث كبر الحجم وسعة الحمل وسرعة الإبحار وبعد السفر.

وأهم مايتميز به البوم مقدمته المستقيمة التي تنتهي بطرف حاد مدبب على شكل نصف دائرة. أما مؤخرته فهي مدببة وأكثر قدرة على الصمود في وجه الامواج. قاعدته طويله مستقيمة، كما ان له سطحا علويا في الثلث الخلفي يسمى (النيم) وفيه يجلس النوخذة وصاحب الدفة (السكوني). وتحت (النيم) تقع غرفة اسمها (الدبوسة) تستخدم لخزن الطعام والإحتياجات المختلفة.

وباستطاعة النوخذة أن يرفع سبعة اشرعة في نفس الوقت على البوم:

- شراع الدقل العود.
- شراع الدقل القلمي.
- شراع مثلث الشكل يرفع في مقدمه البوم يسمى (البومية).
- شراع آخر مثلث الشكل يرفع في المقدمة يسمى: بومية ثانية.
- شراع يرفع فوق الشراع الكبير يسمى : قابية عود.
- شراع يرفع فوق الشراع الصغير يسمى : قابية قلمي .
- شراع يرفع في مؤخرة السفينة يسمى :شمندي.

وغالبا ما يحمل البوم ثلاثة قوارب صغيرة على ظهره لإستخدامها في الموانئ. وهي : الكيت والكتر والماشوة. كما ان هناك انوعا خاصة من البوم لنقل المياه العذبة بواسطة خزانات خشبية تسمى (الفنطاس) .

* الزعيمة : يطلق هذا الاسم عند اليمنيين على كل سفينة شراعية ، وهي في الاصل اسم خاص لطراز من مراكب الخليج.

لهذا النوع من المراكب مقدمة منحنية مثل مقدمة السنبوك، ومؤخرة مائلة للخلف تشبه مؤخرة الزاروق. وله سطح صغير في المقدمة وآخر في المؤخرة، والكبير منه دقلان، وتوضع على جانبيه الاماميين متاريس تشد حول رأس المقدمة.

وطول قاعدة الزعيمة الكبيرة ذات الدقلين هو ٣٣ قدما، وهو تقريبا نصف طول الهيكل من طرف المؤخرة الى الصدر. في بعض الانواع تحرك كانه السكان باليد، في بعضها الاخر يحرك السكان بالحبال مباشرة مثل سكان البدن.

* العبري : اشتهرت المكلا ببناء هذا النمط من المراكب الصغيرة الذي بقي حتى وقت قريب مستخدما في النقل الساحلي الخفيف على شواطئ الخليج.

ويتصف هذا المركب بقاعدة مستقيمة ومقدمة طويلة منخفضة لارأس لها بارز وتشبه في ذلك الزاروق. اما مؤخرته فعالية تميل قليلا الى الخلف، ويعلّى جانباه بمتاريس من الحصر.

للعبري سطح عال في المؤخرة، وسطح آخر صغير في المقدمة. كما ان للكبير منه عادة دقلان وللصغير دقل واحد مائل قليلا الى الامام.

* البلم : من المراكب التي تستخدم في صيد الاسماك والنقل المحلي. وهو ذو قاع مسطح وجوانبه منخفضة، اما المقدمة مدببة ويثبت في وسطه لوح متين يكون بمثابة السطح. ومن انواعه : البلم النصاري، والعشاري، والبتيري، وبلم البصرة.

* الهوري : قارب صغير منحوت من جذع الشجر، يحمل شخصين وله مجدافان. يستخدم في نقل الاسماك من مصائدها (الحظرة) الى الساحل، ويحمل عادة على جانب البوم.

* الماشوة : قارب النجاة على ظهر البوم. ويستخدم لنقل البحارة والبضائع على السواحل القريبة. له مؤخرة عريضة ومقدمة مستقيمة أو محنية ، وليس له سطح أو دفة. يتحرك عادة بالمجاديف، وقد يزود بشراع وصار.

* الكتر : قارب مسماري صغير يحمل عادة على ظهر البوم ويستخدمه النوخذة في تنقله ضمن الميناء.

*التشالة : من سفن النقل الساحلي، تشبه البوم من الأمام والخلف، ولها صار واحد ومجاديف. وليسلها قاع مسطح وجوفها يكون مكشوفا لتسهيل عملية التحميل والتفريغ ■

المراجع :

١ - المراكب العربية (تاريخها وانواعها) حسن صالح شهاب - مؤسسة الكويت للتقدم العلمي - ١٩٨٧ - ص ١٩.

٢ - رحلة ابن جبير - بيروت ١٩٦٤- ص ٥٦.

٣ - رحلة ابن بطوطة - القاهرة ١٩٦٧-ج٢/ص١٢٤.

٤ - ربابنة الخليج العربي ومصنفاتهم البحرية- خالد سالم محمد- الكويت ١٩٨٢- ص١٧١.

٥ - عمان وتاريخها البحري - وزارة الاعلام والثقافة (سلطنة عمان) ١٩٧٩- ص١٣١.

٦ - تاريخ صناعة السفن في الكويت - نجاة عبد القادر الجاسم القناعي - مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ١٩٨٢- ص١٣١.

٧ - الملاحة في الخليج العربي- عيسى احمد النشمي - الكويت ١٩٦٩- ص ١١٨.

٨ - انظر (العرب والملاحة)- جورج فاضلو حوراني - مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٨- ص ٢٤٢.

العقل .. في الفلسفة الظاهراتية

بقلم :د. محمد سعود البشر - الرياض

الظاهراتية، أو «الفينومينولوجيا»، فلسفة قامت على إعمال العقل من أجل دراسة الظواهر من خلال بروزها في الوعي الإنساني لإثبات وجودها ومعرفة ماهيتها وفهم كينونتها. فهي عملية عقلية بحتة تحاول البحث عن المعاني المتعلقة بالظاهرة مهما كان نوعها في الكون وتفسيرها.

أحد ضروب هذه الفلسفة مايعرف بالفينومينولوجيا التفسيرية أو الهيرمونطيقية Hermeneutic Phenomenonlogy، التي تعنى بتفسير الظواهر من خلال عنصري الزمان والمكان الفينومينولوجيين. وليس المقصود بالزمان عند الفينومينولوجيين ذلك الزمان الفيزيائي المعروف، بل هو الزمان المعاش في الذاكرة والوعي Lived Time، كما ان المقصود بالمكان عندهم هو المكان المعاش Lived Space، وليس المكان الجغرافي الشائع والمعلوم عند غير اتباع هذه الفلسفة.

وقبل أن نشرع في بسط وايضاح بعض المفاهيم المتعلقة بالفينومينولوجيا الهيرمونطيقية لابد ان نضع حقيقة اساسية نصب اعيننا ونحن نحاول ان نتعرف الى تلك المفاهيم التي تمثل ركيزة البناء التي قامت عليها هذه الفلسفة، وهذه الحقيقة هي : ان الهدف الذي تسعى اليه هذه الفلسفة، من وراء تفسير الظواهر أو التجارب الانسانية المعاشة في الوعي أو الذاكرة هو اثبات وجود «الذات» الانسانية في هذا العالم.

أما جوهر هذه الفلسفة ومنهجها في تفسير التجارب الانسانية المعاشة فانه يقوم على اربعة عناصر هي :

أولا: المكان الفينومينولوجي Spatiality، والمقصود به عند الفينومينولوجيين **المكان الذي يبعث الاحساس والمشاعر المرتبطة بظاهرة معينة أو تجربة محددة في الوعي أو الذاكرة** الانسانية. **فالأحداث مرتبطة عند تذكرها بمكان وقوعها (في** البيت، أو المدرسة، أو الشارع، مثلا). **وعملية تذكر هذا الحدث** أو تلك الظاهرة بتفاصيلها **يتطلب تذكر المكان الذي وقعت فيه.** وهذا التذكر **يحتل مساحة معينة من وعي الانسان عند** محاولته تفسير هذا الحدث أو تلك الظاهرة **لتكوين معنى** تفسيري لها.

ثانيا: الزمان المعاش Temporality، وهو لازم من لوازم وجود التجربة المعاشة. فهو الوقت الذي قضاه الانسان خلال مروره بتلك التجربة ومعايشتها، وليس المقصود من ذلك معرفة ساعة وقوع الحدث أو المدة الزمنية المحددة بالايام أو الاسابيع أو غير ذلك، بل المقصود بعنصر الزمان في الفينومينولوجيا بشكل عام والفينومينولوجيا الهيرمونطيقية بشكل اخص هو الحضور الزماني لهذه التجربة في الوعي أو الذاكرة.

ثالثا: الآخر المعاش Relationality، أو The Lived Other، ويعني ان التجربة الانسانية المعاشة غالبا ماتكون متعلقة بشخص آخر تتفاعل معه وتكتسب من جراء هذا التفاعل معنى لوجودها.

رابعا: الجسد المعاش Corporeality، أو Lived Body، **وهذا العنصر الاخير يشير الى الحقيقة الفينومينولوجية التي تقول ان الانسان متجسد في هذا العالم بجسمه، فكل انسان يتمتع باستقلالية جسدية تمنحه معنى الوجود في الكون. فالطفل مستقل بجسده عن أبيه، والاب مستقل بجسده عن الام، والام مستقلة بجسدها عن اطفالها، وهكذا. وهذه الاستقلالية الجسدية لاتلغي مطلقا الترابط** المعنوي الوثيق بين هذه «الكيانات المستقلة» التي تكوّن «أسرة» يشعر كل واحد من افرادها بانتمائه المعنوي اليها.

هذه هي العناصر الاربعة التي تنطلق منها الفلسفة الفينومينولوجية التفسيرية أو الهيرمونطيقية في فهمها للتجربة الانسانية المعاشة، وهي تتخذ من هذه العناصر الاربعة ركائز مهمة لتفسير الظواهر الانسانية لاثبات وجودها. فهي - اذن - فلسفة تعنى بدراسة الظواهر لمعرفة ماهيتها من خلال اعمال العقل الذي يقوم بوظيفة التفكير والتذكير والحكم على الظواهر. وفلاسفة الفينومينولوجيا الهيرمونطيقية - كغيرهم من الفلاسفة الذين أجلّوا العقل وجعلوه الفيصل في فهم ظواهر الوجود. اذ ان مناط التحليل والتفسير عندهم هو العقل فقط ولاشيء غيره كما اشار بذلك بعض المؤسسين الاوائل لهذه الفلسفة امثال «هيدجر» (١٨٨٩- ١٩٧٦م).

وهذا العقل هو بمثابة المحيط الذي يتحرك فيه الفكر **الفينومينولوجي الهيرمونطيقي ولايتعداه وهو المنظار الذي يبصر به اتباع هذه الفلسفة العقلية في ميادين الابداع الانساني. فهم يحاولون اولا اثبات وجود «الذات» الانسانية في هذا العالم، وهذه هي غايتهم. اما وسائلهم فتتبع الظواهر الانسانية والتجارب المعاشة ومحاولة فهمها وتفسيرها** للإستدلال على حقيقة وجود الذات. **واما مجالاتهم في ذلك فتتعدد وتتنوع بحسب الظاهرة موضوع الدراسة، تارة في** الروحانيات، أو في الشعور، أو في علم النفس، وتارة اخرى في التربية، أو في الادب، وهكذا.

وقد كان الأثر الفكري لهذه الفلسفة - في بداياتها- لايتجاوز حدود المجتمعات التي ظهرت فيها، ولكن عندما تبنى نظريات هذه الفلسفة اساتذة الجامعات الاوروبية والامريكية، وبحثوا في إمكانات تطبيقها على فروع العلوم الانسانية كالتربية والاجتماع والأدب وعلم النفس وغير ذلك من العلوم

التي تجعل حياة الانسان موضوع بحثها ودراستها، اشتد عود هذه النظرية وشاعت في اوساط النخبة المثقفة.

وكما هي عادة المثقفين في الوطن العربي الذين يجوبون موائد الفكر الغربي ويقفون على ابواب الثقافات الاوروبية فقد عنّ لقلة منهم ان تستعير بذور هذه *الفلسفة لغرسها* في عقلية المثقف العربي من خلال تيسير مفاهيمها كما فعلت «سيمون دي بوفوار» عندما ادركت غموض ماافرزته عقول سارتر، وهسرل، وميرلو - بونتي وصعوبة فهمها فعمدت الى ان تنزل بمستواها الفلسفي المعقد الى مستوى «عقلية الجماهير المثقفة» من خلال فنون الادب المختلفة ليسهل عليهم تفكيك رموزها واستجلاء طلاسمها.

ووجه الشبه بين من أخذ بمثل هذه الفلسفات الاوروبية الحديثة وبين العقلانيين الأوائل - مع الفارق بطبيعة الحال- هو ان مناط تفكيرهم هو العقل، والعقل فقط. فهو مصدر المعرفة بالنسبة لهم، وفي ضوء مايدركه هذا العقل ويفهمه ويسلم به يكون معيار المعرفة من عدمها. لأن هؤلاء الفلاسفة - اعني فلاسفة الفينومينولوجيا- قد اوغلوا في استخدام العقل حتى وصلوا الى مرحلة عجز العقل فيها عن ادراك الكثير من الماديات والمحسوسات الكونية. فبالرغم من وعي العقل وادراكه لآيات كثيرة من آيات الله في الارض وفي السماء وفي الانفس الا ان ذلك قليل من كثير مما يعجز العقل عن فهمه ومعرفة اسراره «وماأوتيتم من العلم الا قليلا».. فما دلالة ذلك؟

دلالته الواضحة والصريحة هي: أن العقل الانساني لاينبغي ان يكون وحده هو الفيصل في قبول الاشياء أو ردها، أو تصورها ومن ثم الحكم عليها، او الايمان بها وتصديقها أو رفضها وتكذيبها، لما في ذلك من ضرر كبير على عقيدة الانسان وايمانه الفطري، وما يؤدي اليه ذلك من انكار للغيبيات وقصر العقل على ماهو معلوم أو مشاهد ومحسوس.

ولايفهم من ذلك اقصاء العقل عن دائرة التفكير وتعطيل قدرته على التدبير في الكون أو في النفس الانسانية أو تقييده أو الحجر عليه، فذلك مطبق في الكنائس والمعابد التي تمارس فيها طقوس روحية وحركات شعائرية شكلية باسم الدين، اما في الاسلام فان للعقل مكانته التي يعتز بها ويعتمد عليها في ترسيخ العقيدة والحث على الايمان بها. ومن يقرأ القرآن يعلم علم اليقين أنه ليس ثمة كتاب أطلق سراح العقل وغالى بقيمته وكرامته كالقرآن الكريم كتاب الاسلام، بل أن القرآن ليكثر من استثارة العقل ليؤدي دوره الذي خلقه الله له. ولذلك نجد عبارات «لعلكم تعقلون» و «لقوم يتفكرون» و «لقوم يفقهون» ونحوها تتكرر عشرات المرات في *السياق القرآني لتؤكد النهج* الفريد في الدعوة إلى الإيمان وقيامه على احترام العقل»(١). وكل هذه الاستثارة العقلية للتدبر والتفكر تتم من اجل اثبات القضايا الكلية والاصول الكبرى في العقيدة مثل قضية التوحيد، والربوبية، وإثبات البعث والحساب، ومعرفة الحكمة من التشريع، وادراك مقتضيات العلاقة بين الانسان وغيره من بني جنسه، وبين الإنسان والنظام الاجتماعي الذي يعيش فيه وبين الإنسان والكون. كل ذلك يتم في حدود قدرة العقل على الوعي والادراك والمعرفة. اما حين يعجز العقل عن ادراك الحكمة من بعض القضايا المتعلقة بالعقيدة فان الاسلام امر العقل بالامتثال للشرع حتى ولو لم يدرك سبب ذلك والحكمة منه. وقد منع الاسلام العقل «من الخوض فيما لايدركه ولا يكون في متناول إدراكه كالذات الالهية والارواح في ماهيتها ونحو ذلك فقال عليه الصلاة والسلام: « تفكروا في آلاء الله ولاتتفكروا في الله». وقال صلى الله عليه وسلم: «لايزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله ورسوله»، وعن الروح قال تعالى: « يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي» فصرف الجواب عن ماهيتها لأنه ليس من شؤون العقل السؤال عنها ولامن مداركه، وكذلك الجنة ونعيمها والنار وجحيمها وكيفية ذلك وغيرها من الغيبيات التي ليست في متناول العقل ومداركه»(٢). ومثل هذه الاشياء التي يعجز العقل عن ادراكها تندرج في باب العلم الخبري النظري الذي هو نقيض العلم العملي، *لأن العلم- كما يقول شيخ الاسلام ابن تيمية* رحمه الله(٣) - نوعان: «احدهما العملي وهو ماكان شرطا في حصول المعلوم، كتصوراحدنا لما يريد ان يفعله. فالمعلوم هنا متوقف على العلم محتاج اليه. والثاني العلم الخبري النظري، وهو ماكان المعلوم غير مفتقر في وجوده الى العلم به، كعلمنا بوحدانية الله تعالى، واسمائه، وصفاته، وصدق رسله، وبملائكته، وكتبه، وغير ذلك. فان هذه المعلومات ثابتة سواء علمناها أو لم نعلمها، فهي مستغنية عن علمنا بها، والشرع مع العقل هو من هذا الباب، فان الشرع المنزل من عند الله ثابت في نفسه، سواء علمناه بعقولنا أو لم نعلمه، فهو مستغن في نفسه عن علمنا وعقلنا. ولكن نحن محتاجون اليه والى ان نعلمه بعقولنا، فان العقل اذا علم ماهو عليه الشرع في نفسه صار عالما به، وبما تضمنه من الامور التي يحتاج اليها في دنياه وآخرته، وانتفع بعلمه به، واعطاه ذلك صفة لم تكن له قبل ذلك، ولو لم يعلمه لكان جاهلا ناقصا»(٣).

وهذا الجهل والنقص الذي عناه ابن تيمية رحمه الله هو وصف للعقل عندما يعجز عن إدراك بعض ماجاء به الشرع، فيكون اقحامه فيما يعجز عن ادراكه حينئذ تكريس لجهل الإنسان بجهل العقل. وجهل الإنسان بجهل العقل هو الحقيقة التي عجز عن ادراكها الفينومينولوجيون الذين بنوا اسس فلسفتهم التفسيرية للظواهر على العناصر الاربعة التي ذكرناها في مقدمة هذه المقالة، وهي العناصر التي لاتتعدى حدود الوعي الإنساني، أو تتجاوز الاشياء المحسوسة أو المشاهدة من أجل اثبات وجود «الذات» وتجسدها في هذا الوجود من خلال اسهاماتها وابداعاتها في فنون الحياة المختلفة كالتربية والاجتماع وعلم النفس والادب التي تشكل جميعها «تجربة معاشة». ان وقوف هذه الفلسفة عند حدود مايمكن للعقل ادراكه وعدم تجاوزه الى غيره هو السبب الرئيس وراء تخبط كثير من اتباعها في دراسة وبحث مايعرف بالميتافيزيقيا وتناقضهم في اطروحاتهم ومشاريعهم الفلسفية حتى آمن كثير منهم بفكرة « العدم»، وقالوا كما قال هيدجر من قبل: «كلنا سنموت، وماسيبقى من أجسادنا بعد الموت حفنه من تراب لاتشمل ذاتا»؟!! ■

الهوامش :

١ - انظر: د. فهد بن عبد الرحمن الرومي . منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٤، ١٤١٤هـ،١/٢٩-٣٠.

٢ - مرجع سابق، ١/٣٨-٣٩.

٣ - انظر: درء تعارض العقل والنقل ، لشيخ الاسلام ابن تيمية، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، مطبوعات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، ط١ ١٣٩٩هـ،١/٨٨-٨٩.

الحيوانات خلال الزمان

بقلم الاستاذ : عبد الرحمن حريتاني - سورية

بدأ الكون نشأته بإنفجار عظيم حدث منذ حوالي ١٥ - ٢٠ بليون عام، وتشكلت الأرض منذ حوالي ٤,٥ بليون عام، وطلعت أولى نباتات الأرض منذ حوالي ٣,٨ بليون عام، ودبّ أول حيوان على الأرض منذ حوالي ٦٠٠ مليون عام، وجاء الإنسان ليختم الخلائق أجمعها كما أمر الخالق العظيم.

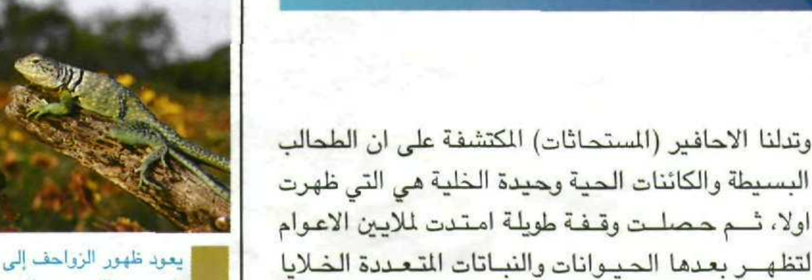


Photo Take



Photo Take

تدل الحفريات التي اكتشفت على الأرض أن جميع الشعب الحيوانية ظهرت خلال العصر الكمبري الذي دام ٧٠ مليون عام أي منذ حوالي ٥٧٠ مليون عام مضت.



لقد قدّرت اطوار الخلق من ابداع الاكوان الى خلق صغار الكائنات الحية ورسمت برسم الهي موح بديع خط في لوحة الوجود منذ قدر الخلاق العظيم المكوّن خلق الوجود والموجودات، قال تعالى «قل سيروا في الأرض، فانظروا كيف بدأ الخلق» (العنكبوت / ٢٠)

نشأة الحياة على الأرض :

يعتقد علماء الحياة أن التنوع الواسع لانواع النبات والحيوان التي تعمر الأرض الآن قد تسلسلت في اشكالها من كائنات حية بسيطة عاشت منذ حوالي ٣ بلايين عام، وأحد اعظم اسرار الارض هو معرفة كيف بدأت الحياة عليها، ويقول علماء الحياة إن الارض والقمر قد تشكلا منذ حوالي ٤,٥ بليون عام، وأن قصف الشهب والنيازك الشديد للأرض الناشئة لم يهيء الفرصة لنشوء الحياة المبكرة، وأنه بعد حوالي ٤,٤ - ٣,٨ بليون عام نشأت أولى بذور الحياة، فقد وجد علماء الآثار رموزاً للحياة في صخور رسوبية في جرينلاند يرجع تاريخها الى حوالي ٣,٨ بليون عام، ثم نشأت الطحالب الخضراء المزرقة بعد حوالي ٣,٨ -٢,٥ بليون عام وعثر على أحافير كثيرة لها، ثم ظهرت الكائنات الحية وحيدة الخلية ذات النواة بعد حوالي ١,٨ -١,٥ بليون عام، وبعد ذلك ظهرت الكائنات الحية ذات التكاثر الجنسي بعد حوالي ١,٨ -٠,٥ بليون عام، ثم ظهور أول الحيوانات على الارض بعد حوالي ٥٥٠ مليون عام، وجابت الديناصورات الارض منذ حوالي ٢٢٥ مليون عام وانقرضت منها منذ حوالي ٦٥ مليون عام،

وتدلنا الاحافير (المستحاثات) المكتشفة على ان الطحالب البسيطة والكائنات الحية وحيدة الخلية هي التي ظهرت اولا، ثم حصلت وقفة طويلة امتدت لملايين الاعوام لتظهر بعدها الحيوانات والنباتات المتعددة الخلايا الاكثر تعقيدا.

ويعتقد علماء الحياة بأنه حدث منذ حوالي ٦٠٠ مليون عام قفزة تطورية هائلة في «العصر الكمبريCambrian Period» حيث ظهرت فيها هياكل اساسية بنيوية لأجسام الحيوان مازالت مرسومة بهيئتها الأولى حتى وقتنا الحالي، ولم تظهر منذ ذلك الحين هيئات جديدة لتشكل الاجسام، ولم تحدث منذ «العصر الكمبري» اية تغيرات تطورية سوى بعض التغيرات الطفيفة في الاشكال الاساسية، وهذا «التوقف العجيب» مازال يحير علماء الحياة ويدهشهم حيث بقي السؤال : لماذا لم يتوال ظهور اشكال جديدة للحياة خلال كلّ مئات ملايين الأعوام تلك؟ اليست هذه المعلومات التي تدعمها الاكتشافات الحديثة ضربة حقيقية لما تمثله نظرية التطور الداروينية، اذ هل يعقل ان يسير التطور لمدى طويل من الزمان ثم يتوقف فجأة وبلاسبب لمئات ملايين الاعوام، لقد ظهرت الشعب الرئيسة Phylons في إنفجار وجيز واحد، ثم لم يحدث شيء ذا اهمية بعد ذلك لزمن يزيد عن نصف بليون عام.

تصنيف الحيوان :

يعيش على الأرض الآن أكثر من مليون نوع من الحيوان، تشكل شعبة

Photo Take

Photo Take

يعود ظهور الزواحف إلى العصر الفحمي الذي يمتد حوالي ٦٥ مليون عام، ويرجع تاريخه إلى ٣٤٥ مليون عام.

يعيش على الأرض الآن أكثر من مليون نوع من الحيوانات تشكل الحشرات والعنكبيات والقشريات حوالي ٨٦٪ منها.

«المفـصليـات Arthropods» التي تضم الحـشـرات والعنكبيات والقشريات حوالي ٨٦٪ منها وهي المجموعة الاكبر، وتشكل «الرخويات Mollusks» التي منها رأسيات الارجل وبطنيات الاقدام وذوات المصراعين حوالي ٤,٣٪ وهي المجموعة الثانية الأكبر ، وتشكل بقية أنواع الحيوان النسبة القليلة الباقية، حيث تشكل عضديات الأرجل و١٨ مـجـموعـة اخـرى بقـيـة النسب، الأسـمـاك ١,٩٪ اللواسع ٠,٨٪، والدود الحلقي ٠,٨٪ والطيـور ٠,٧٪، والزواحف ٠,٦٪، وقنفـذيات الجلد ٠,٥٪، والأسـفنجـيـات ٠,٤٪ والثدييات٠,٤٪ والبرمائيات ٠,٢٪.

ويصنف علماء الحيوان الحيوانات في نظام تراتبي على أسـاس بعض الفـروق البنيـوية الاسـاسـيـة، فـيـبدأ الترتيب من «الشعبة» وهي تنوع واسع يضم مجموعات كبيرة من الحـيـوان مثل المفصليات وشوكيات الجلد والديدان الحلقية التي تتميز بتصاميم الجسم المميزة لأعـضـائهـا ، ثم «الرتبـة»، ثم المجـمـوعـة (الزمـرة)، ثم «النوع»، ويمثل كل قـسم في هذا التـسلسل نقطة تفرع جديدة، وتتميز الشعب بخصائص تظهر أقدم مستويات الترابط التطوري وأعمقها.

الإنفجار العظيم :

تدلنا جـمـيـع الأحـافـيـر Fossilsالتي اكتـشـفت على الأرض على أن جميع الشعب الحيوانية قد ظهرت خلال «العـصـر الكمـبـري» الذي دام حوالي ٧٠ مليون عام اي منذ ٥٧٠- ٥٠٠ مليون عام مضت، ويسمي علماء الحياة هذا الظهـــور المفـــاجئ بـ «الانفـجـار الكـمـبـري Cam-berian Explosion»، ولم يـتـمكن هؤلاء العلمـاء حـتى الآن من تحـديـد بداية ظهـور هذه الشـعب ولكنهم يؤكدون بأنهـا ظهرت فـجـأة وبتـزامن مؤقت عـجـيب، وقـد أطلقـوا على هذا اسم « الانفـجـــار العظيم Big Bang» في عـالم الحـيـوان تشـبـيـهـا له بالانفجار العظيم الذي بدأ به الكون نشـأته ويعـتـبـرونه الحـدث المحـوري في تاريخ ظهـور الحـيـاة على الارض حيث وجدت جميع الكائنات الحية المعقدة التركيب في العالم، فهو عصر نشأة الحيوانات الحديثة.

تاريخ الحياة

العصر	منذ ملايين الاعوام	فترة البقاء	الاحياء
ماقبل الكمبري	٤٦٠٠	٤٠٣٠	اول اثار للحياة، طحالب وبكتيريا
الكمبري	٥٧٠	٧٠	اولى الحوافر، وقنافذ البحر، وظهور التصاميم البنيوية لأشكال الحيوان
الاردوفيسي	٥٠٠	٧٠	ظهور المرجان وثلاثيات الفصوص
السيلوري	٤٣٠	٣٥	ظهور اولى النباتات الارضية، الاشنات والاسماك الفكية
الديفوني	٣٩٥	٥٠	ظهور اسماك عديدة واولى البرمائيات
الفحمي	٣٤٥	٦٥	ظهور الزواحف والحشرات المجنحة وشيوع السراخس
البرمي	٢٨٠	٥٥	ظهور الحشرات
الترياسي	٢٢٥	٣٠	ظهور الثدييات
الجوراسي	١٩٥	٦٠	عصر الزواحف الكبيرة وظهور الطيور
الطباشيري	١٣٥	٧٠	ظهور النباتات المزهرة
الثالث	٦٥	٦٣	ظهور الرئيسات
الرابع	٢	٢	سيطرة الثدييات وظهور الانسان

أحافير العصر الكمبري:

لقد اكتشف عالم الاحافير الصيني هوكسيا نجنغ، الذي بدأ البحث مع فريق عمله في جبل موتيان جنوب غـرب الصين منذ عـام ١٩٨٤م منجم ذهب جـديد من الأحافير الصينية القديمة التي ربما قدمت لنا حل اللغز الكبير لظهور الحيوانات ذات الاشكال المعقدة المفاجئ في العصـر الكمبري منذ حوالي نصف بليون عام، وقد بدأ الأكتشاف الكبير بالعثور على أحفورة غير عادية بحجم البـيضـة وجدها العـالم «هو كسـيانجنغ» مدفونة في الصـخـر، ويقـول هذا العـالم:«انه كـان يومـاً محسوباً في تاريخ الحياة، لم أعرف هذا الحيوان ولم أعرف بنيته التفصيلية ولكن بالتـأكيـد كـانت الأحـفـورة الاندر والأعظم بين جـمـيـع الأحـافـيـر التي اكتـشـفناها لاحـقـا، لأن جـسـمـهـا النسيجي الناعم لم يتحلل، وهذا نادر الحدوث في عالم الاحـافـيـر، فـعـادة تحـفظ الاجـزاء الغنية بالمعادن مثل الاسنان والعظام والقـواقـع الصلدة، ولكـن أن يبـــقـى نسيج حي محـفوظا سليما

يعتقد العلماء ان ظهور الحشرات يرجع الى العصر البرمي قبل حوالي ٢٨٠ مليون عام





منذ العصر الكمبري قبل حوالي ٦٠٠ مليون عام لم تحدث تغيرات في أشكال الحياة، وهذا يدحض نظرية داروين.

مئات الملايين من الاعوام فهذه معجزة. لم انم تلك الليلة، وضعت الاحفورة تحت سريري وكنت كل ساعة اخرجها وانظر اليها وأستمتع بملامحها».

وقد بدأت مع اكتشاف هذه الأحفورة العجيبة قصة واحد من أهم الاكتشافات الاحفورية العظمى خلال القرن، فلقد اكتشف هذا العالم وزملاؤه فيما بعد حول مدينة شنغ يانغ الالاف من الاحافير السليمة التي تلقي نظرة على الماضي القديم حيث تعود بنا في الزمان الى الحدث المحوري في تاريخ ظهور الحيوان الذي بدأ مع بداية العصر الكمبري على الارض منذ حوالي ٥٥٠ مليون عام وهذه توضح الانفجار التطوري الذي ملأ البحار بالكائنات الحية التي مازال تنوعها الواسع يستوطن الارض برا وبحرا حتى الآن، لقد الهبت أحافير مدينة شنغ يانغ خيال العلماء وقدمت لهم الفرصة لفهم بدء الظهور الواسع لأنواع الحيوان وانطلاقها من البدائية الى اشكالها المكتملة في فترة بسيطة امتدت بضعة ملايين من السنين فقط.

لقد قدم موقع جبل موتيان وموقع بورجس شال، شمال غرب كندا وموقع شمال جرينلاند ذخيرة وافرة من احافير حيوانات عصر الكمبري، فلم يكن يعيش قبل هذا العصر سوى حيوان الاسفنج ومناديل البحر التي لم يعتبرها العلماء حيوانات كاملة بل فرعا منفصلا للحيوانات متعددة الخلايا التي لم تخلف إرثا في العالم الحديث، وأن اعتبرت الزواحف من الحيوانات الأولى التي تملك اشكالا بسيطة نسبيا وحين نتقدم الى العصر الكمبري نلج العالم المدهش العجيب لابتكار وابتداع اشكال الحيوانات التي تملك بنى كاملة وهياكل خارجية واصدافاً صلبة وخصائص بيولوجية مثل القوائم والزباني والاجسام المقطعة التي تظهر للمرة الأولى على الأرض والتي افسحت المجال لوضع تصنيفات واسعة للحياة المحيطة الحديثة، فللمرة الأولى صارت الحيوانات تتحرك وتمتلك القدرة على السباحة والمشي وحفر الجحور في قيعان البحار.

لقد قدمت صخور مدينة شنغ مستحاثات عظيمة تؤرخ لفترة عصر الكمبري، فقد وجد العلماء انسباء البطلينوس والاسفنج والدود المقطع ولافقاريات اخرى كثيرة، وقد نشر فريق علماء «هو» في عام ١٩٩١م التقرير الإحصائي الشامل عن التنوع العام المدهش لعالم حيوانات عصر الكمبري، ويقول العالم «هو» لقد أعادت احافير شنغ طرح السؤال الكبير عن الانفجار العظيم في مملكة الحيوان، لماذا كانت هذه الفترة مختلفة جدا عن بقية الزمان؟ في الحقيقة نحن ننظر لحدث فريد في تاريخ الحياة على الارض، لقد أعادتنا أحافيرنا نصف بليون عام في الزمان، ولعل علماء المستقبل يعودون بنا لأربعة بلايين عام أخرى ليكتشفوا لنا سر نشأة الحياة على الارض ■

إغتراب الذات في شعر «روبرت فروست»

بقلم الأستاذ : سعد عبد المجيد الغامدي - الجبيل

ولد الشاعر الأمريكي روبرت فروست في سان فرانسيسكو (كاليفورنيا) في٢٦ مارس ١٨٧٤م، ثم استقر في سالم، بولاية نيوهامبشاير، حتى غيّبه الموت في عام ١٩٦٣م. وقد لاحت بداياته الشعرية عندما كان طالبا في المرحلة الثانوية حيث اختير شاعراً للفصل. ونشر أولى قصائده بعنوان «لانوك تريستي» في صحيفة المدرسة، التي كان يعمل فيها محررا، وذلك في عام ١٨٩٢م.كان النتاج الشعري لدى فروست يتصف في أطواره المبكرة بالأقليمية والريفية المطلقة، لكنه لم يلبث أن تجاوز هذه الأطر بغزارته وإيحائيته، فكان أن أمطر الشاعر بالعديد من جوائز التكريم، التي كان أبرزها حصوله على جائزة بوليتزر للشعراء أربع مرات. الا أن أهم تكريم ناله فروست حين دعاه الرئيس الأمريكي الراحل جون كينيدي لالقاء قصيدة في مراسيم التنصيب الرئاسي عام ١٩٦١م، مانقله فعلا من حيّز الريف المغمور الى آفاق الشهرة وتجاوز حدود الوطن.

لقد أبدع فروست لغة شعرية جديدة، ذات رنين عميق وأبدي، إتسمت بالسهولة في انتقاء المفردات والتراكيب اللغوية وعلامات التنقيط التي تمنح القصيدة مزيدا من الوضوح. كانت مفعمة بالصور الجلية والنغمة الموسيقية، والايقاع الغنائي، وذلك لمثابرته على استخدام الوزن والقافية المطردة. وحول هذه التقنية نقل عنه تشبيهه تعاطي كتابة الشعر الحر بمزاولة لعبة المضرب بدون شبكة.

تلك البساطة الظاهرية على الاقل، لاتعني سطحية شعر فروست، فقصائده، رغم ذلك،تعني وتوحي بأكثر مما تقول. أي أنها تنطوي على معان عميقة، وتختزن كثير من الأبعاد المعرفية. ولذا، فقد قال عن الشعر بأنه يمنح الشاعر آلية تمكنه من قول شيء يقصد به شيئا آخر. ويضيف: أن الناس يتساءلون عمّا إذا كان من الشعر أن يقول الشاعر في شعره مايقصد مباشرة، فيرد قائلا: إن شيئا من هذا القول ليس بشعر، والا أضحى الناس كلهم شعراء. فالشعراء في مفهومه هم الذين يتعاطون القول الشعري بطريقة الايحاء.

والحقيقة أن العلاقة بين الشكل والمضمون الشعري لدى فروست هي انعكاس لحياة الشاعر الشخصية. فالشاعر هو ابن الريف والحياة اللصيقة بالطبيعة بما تكتنفه هذه الاخيرة من حقول خضراء جميلة، وغابات كثيفة، وأنهار وجداول جارية، وامطار وثلوج، وليال ونهارات، وشموس وأقمار، وناس وحيوانات. وكل هذه الحقائق الكونية والطبيعية واضحة وجلية مما يزيدها جمالاً وجاذبية، إلا أنها في ذات الوقت عميقة ورمزية، وتمثل حقيقة اكبر واعظم هي قصة الوجود بأكمله.


روبرت فروست

القضايا التي يشغلها الحيز الشعري عند فروست تتمحور حول هموم الانسان الريفي والمشاعر الناجمة عن علاقته بالطبيعة في سياقات زمنية طغت عليها مظاهر المدنية الحديثة ومعطيات الطفرة التقانية، الأمر الذي وضع الإنسان الريفي في أزمة حقيقية، تتجسد في صراعه المصيري مع متطلبات زمن الحداثة، فإما أن يتغلب عليه ويتجاوزه، أو يتماشى مع متغيراته ومستجداته، أو يتراجع وينسحب نحو ذاته كآلية نهائية للتعاطي مع هذه الوضعية الثورية التي تكتسح الحياة الساكنة وتزعزع قناعاتها ومسلّماتها الثابتة، لتحل محلها أسس حداثية تدفع بالعقلية الجامدة والرافضة لمنطق التغيير نحو الاغتراب والتقوقع على الأنا القلقة.

من خلال هذا الاطار تتبدّى لنا أشعار فروست، هذا الانسان الذي انغمس في ازمة المواجهة مع منطق التغيير، والذي يبدو أنه راح ينتهج مسلكاً هروبياً في معالجته لهذه الازمة. فكلما أثقلت الحياة المدنية عليه بوطأتها، فرّ إلى الطبيعة أو توارى في أماكن منعزلة ومهجورة يغمرها النسيان، كما يتضح لنا في قصيدة «الأماكن المهجورة»:

يتساقط الثلج ويهبط الليل سريعا
أمعنت النظر في الحقل وأنا أمرّ به
فكانت الأرض مغطاة بالثلج

غير شيء من أطراف الحصير ظل مرئيا

والغابة المحيطة بالحقل، تملكه - إنه لها

الحيوانات كلها، هامدة في مخابئها

وأنا خاوي الروح غير مهم،

تغمرني الوحشة دون مبالاة.

لايزال متوحدا، وتلك العزلة

ستغدو أكثر وحشة قبل ان تعود الحياة

والبياض العقيم، من ثلج داهمه الليل،

اخرس ، غير قادر على التعبير.

انهم لايقدرون على تخويفي بأماكنهم الخالية

بين النجوم - على الكواكب حيث لابشر،

انها في داخلي قريبا جداً من منزلي

أماكني المهجورة بوسعها أن تخيفني.

نحن إزاء رجل يحيط به الخواء والفقر الموحش والعزلة من جميع الجهات. في الخارج حيث الطبيعة في أكثر صورها موانا ووحشة وعقماً. والليل بظلمته يهبط سريعا على الأماكن، كما الثلج ببياضه العقيم يتساقط كثيفا على الأرض. وفي هذا السياق الأخرس ليس ثمة بشر يضفون على هذه الاماكن المهجورة أنسا وصخبا يبعث في ثناياها الحياة.

وعلى الرغم مما تبدو عليه هذه الأماكن من قساوة وسبات يذكر الانسان بعالم الاموات، فانها لاتخيف هذا الرجل مثلما يخيفه ذلك الخواء الذي يملأ قلبه بدخان العزلة وتعب الغربة وقسوة الضياع. ومما يزيد اغتراب هذا الانسان أن الطبيعة التي لجأ اليها بعيداً عن جلبة المدنية وغلوائها كانت قاسية وغريبة في هذا الوقت بالذات.

وتتجلى كثافة اغترابه إذا أمعنا النظر في الصور التي تسوقها القصيدة. فكل هذه الصور ذات انعكاسات سلبية: الليل الأسود، الثلج الابيض الكثيف، الغابة بأدغالها، الحيوانات في مخابئها، خواء الروح، المكان الذي يمر به موحشا ، منعزلا ومهجورا. كل هذه الصور تشكل لوحة سوداوية وغرائبية تتكرر في غير قصيدة من قصائد فروست، وتجسد في النهاية عزلة الانسان وغربته في مجتمعه. فهذا انسان آخر اتخذ العزلة والغروب عن مسرح الحياة طريقا وجوديا كما في قصيدة «بيت الأشباح»:

أعيش في منزل منعزل أعرف أنه

توارى كثيرا منذ صيف مضى

ولم يبق له أثر إلا جدران سرداب

كانت أشعة الشمس تسقط من خلاله

لتنمو أشجار التوت الشوكي

أعيش ولي قلب متعب غريب،

في ذلك المسكن المتواري بعيدا على

قارعة ذلك الطريق المهمل المنسي،

ويجيء الليل ، فتنطلق

الخفافيش السود، موشوشة.

إختار هذا الانسان العزلة التامة هرباً من طوفان المدنية الهادر. وقد اتخذ هذا القرار الهروبي بعدما تعب قلبه من الغربة التي تطمر حياته، وبالرغم من انه يعيش في وسط مجتمع انساني. إلا ان هذا المجتمع أصابته التغيرات في عاداته وسلوكياته فلم يستطيع هذا الانسان مواكبتها أو تفسيرها أو حتى تبريرها، مما جعله غريباً في مجتمعه فآثر الهرب تحقيقا لذاته وحماية لها ضد رياح التغيير.

نزعة الإغتراب لدى الإنسان كما تتبدى في شعر فروست، وكما تقرر سلفا، تتمثل في هروبه من الواقع والتواري إما في الطبيعة أو في أماكن معزولة تماما عن ديناميكية الحياة المعاصرة. لكن بحكم ارتباط هذا الانسان بطريقة أو باخرى بهذا الواقع، كمسؤولياته تجاه بعض نواحي الحياة أو التزاماته مع الغير فانه مرغم على الظهور مرة أخرى في هذا الواقع ، رغم أن قلبه لايزال يحن الى الطبيعة حيث الجذور والأصالة، والى الوحدة حيث الانكفاء على الذات. يتراءى لنا هذا الانسان المأزوم بداء الازدواجية في قصيدة «الوقوف بجانب الحقول في مساء مثلج»:

لمن تكون هذه الحقول التي أعتقد انها لمن أعرف

أن منزله في القرية، لكن

سوف لن يراني أقف ها هنا

أراقب حقوله المترعة بالثلوج

حصاني الصغير لابد انه سيفاجأ

بوقوفي، اذ لاوجود لمنزل قريب،

بين الحقول والبحيرة المتجمدة،

في أحلك مساء من السنة

هز أجراس اللجام برأسه

ليسأل عما اذا كان هنالك من خطأ

حيث لاصوت إلا حفيف الريح الطيبة

والثلوج المتساقطة.

الحقول جميلة ومظلمة وعميقة

لكن لديّ وعوداً يجب أن أفي بها

وأميال يجب أن أقطعها قبل أن أنام

وأميال يجب أن أقطعها قبل أن أنام

هنا شعور يتملكه بالحنين الى الطبيعة والعودة الى الذات

رغم قساوة الطبيعة في هذه اللحظات. فالحقول داكنة ومعتمة يلفها الليل الحالك والثلوج تتساقط بكثافة وليس ثمة من اصوات تبعث العزاء للنفس إلا أصوات الطبيعة الخافتة. رغم هذا تستهويه حياة الطبيعة أكثر بكثير من حياة القرية والمدينة. لأن هذه المشاهد الطبيعية بظلمتها وعمقها تمنحه مزيدا من العمق والبعد التأملي والاقتراب من الذات. لكن هيهات له الاستغراق في هذه اللحظة الصوفية وثمة العديد من الواجبات والالتزامات والمسؤوليات والأميال يجب ان يفي بها قبل ان ينام، بل قبل ان يموت. كان يود أن يتماهى في الطبيعة ويعيش في هذا التماهي حتى النهاية، إلا أن الواقع يستدرجه للعودة مرة اخرى ولكن بنفس مكرهة وارادة مرغمة وذات مغتربة.

وعلى الضفة الأخرى من محيط الاغتراب ثمة إنسان آخر يعيش غربة الذات ولكن ليس اغتراب الذات في المدينة بل غربة الذات المدنية في الريف والحياة القروية. في كلتا الحالتين، يعيش الإنسان في صراع مع محيطه الاجتماعي، صراع الاضداد. لكن في كلتا الحالتين أيضا، الحل الذي اتخذه الانسان هو الهروب والغياب في محاولة لتحقيق الذات وحمايتها من الاندثار . تظهر الحالة المعاكسة تلك في قصيدة «الزوجة الريفية»:

كانت في قمة الوحدة، وقمة الوحشة
فليس ثمة أحد سواهما
وليس ثمة طفلا،
أعمال المنزل كانت قليلة،
فكانت تتبعه
حيث يحرث الحقل
ويقطع الشجر.
استندت الى جذع شجرة
وراحت ترمي قطع الخشب
وهي تشدو لنفسها بأغنية
ومرة ذهبت تقطّع أغصاناً
من شجرة بجانب الماء
فهربت بعيداً، حتى لم تكد تسمعه
حين ينادي بها.

لم تجب- لم تتكلم -
ولم ترجع
توقفت، ركضت واختبأت
وراء الشجر.

بحث عنها في كل مكان
وسأل عنها في بيت أمها

غير أنه لم يعثر عليها
فجأة وبسرعة كما حدث
انقطعت الصلة بينهما
وأدرك الحقيقة
بجانب القبر.

كانت تلك الزوجة الريفية تعيش حياة عقيمة تلفها العزلة والوحدة وعدم التفاهم مع زوج دائم الانشغال عنها بتربية الحقل. كانت حياة زوجية ما كان لها أن تنتهي بهذه الخاتمة السريعة والمفاجئة لولا خواء الروح واغتراب الذات في أجواء العزلة، وانعدام البيئة البشرية التي تتفهم حاجة الإنسان الى أخيه الإنسان الذي يفهمه ويعمل على التواصل المستمر معه. كان عزاء المرأة هو الهرب، لكن ليس الهرب الى المجتمع الذي يفهمها ،ويواسيها مثلما كان يفعل الإنسان في القصائد السابقة، بل الهرب الى عالم الأموات حينما وضعت حدا لغربتها بالانتحار.

جميع النماذج التي مرت بنا نماذج مأزومة كانت نتاج بيئة مزدوجة ومتأزمة. وهذه وضعية تكاد تكون عالمية، أي أنها حالة متوافرة في بقاع كثيرة من الأرض، وتجربة تتكرر على مر العصور مابقي الانسان في هذا العالم. لكن الذي يختلف من عصر الى عصر ومن شخص الى آخر هو آلية التعاطي مع هذه الأزمة. فبعض الذين يخضعون لمثل هذه التجارب يجدون في الهروب المتقطع من هذا الواقع القلق حلا مريحا وان كان مؤقتا ، لانه في الحقيقة لايحل المشكلة حلا جذريا. بل يؤجلها، وهذا مايكرس كمونها وظهورها ولو بعد حين في طور اكثر خطورة واعصى على الحل . وبعضهم الآخر ربما يرى الحل في الهروب النهائي والغياب الكامل عن هذا الواقع. وذلك اما ان يكون بالعزلة المادية والمعنوية، والانقطاع الدائم عن التواصل والاتصال بهذا الواقع، وهذا يعد انتحارا للذات. أو أن يكون بالغياب المطلق عن طريق الانتحار الحقيقي والدموي للذات.

ولئن كانت الغاية التي ترمي إليها جميع النماذج السابقة هي تحقيق الذات وصيانتها من التماهي في الآخر، فإن الوسائل التي تبنتها لا تستقيم والحقيقة الأزلية. فالتغيير والاختلاف سنن فطرية صيرها الله سبحانه وتعالى في طبيعة حقائق الكون. فلا الهروب من مواجهتها حلا لها كما أن ليس في الوقوف في مجرى تياراتها اجراءً عقلانيا. لأن المحصلة النهائية هي تدمير الذات وتلاشيها أو تماهيها في ذات الآخر الذي يرفع راية التغيير. لذلك لابد من تحقيق التوافق بين متطلبات ذات الفرد وتلك التي تتطلبها إرادة المجتمع، اي انجاز الوحدة بين الذات الصغرى والذات الكبرى. ولسنا نجد منهجا يحقق هذه الوحدة إلا المنهج الرباني الذي يعلي قيمة الإيمان لدى الفرد والمجتمع ■

الهوامش :

1- R. Ellman and R. O'clair, The Norton Anthology of Modern Poetry, 1973.

2- Alexander W. Allison and others, The Norton Anthology of Poetry, 1983.

3-Gramercy Books, Robert Frost, Selected Poems, 1992

مفهوم التنمية المطردة

بقلم الاستاذ : غسان ابو السعود - الاردن


ارامكو السعودية

يتوجب على كل امة الحفاظ على شواهد تاريخها وآثارها من الإندثار، لانها عناصر لايمكن تعويضها أو استبدالها

عام ١٩٨٧م عمدت لجنة البيئة والتنمية العالمية المنبثقة عن الأمم المتحدة المسماة برندتلاند الى نشرتقرير أسمته مستقبلنا المشترك، وضعت فيه الأسس الثابتة لمفهوم التنمية المطردة Sustinable Development بإعتباره أساس التوجه المتكامل للسياسة العامة في العقود القادمة، وقد جاء فيه «إن التنمية والحفاظ على البيئة متعادلان في ضرورتهما لبقائنا، وللإلتزام بمسؤوليتنا كأمناء على الموارد الطبيعية للأجيال القادمة».واليوم لايكاد يخلو كتاب إقتصادي او مجلة رصينة من ذكر التنمية المطردة...

تعرف التنمية عادة بأنها مجموعة الأهداف المرغوبة التي يسعى المجتمع الى تحقيقها، وبين هذه الأهداف بَلا شك- الهدف الأساس المتمثل في ارتفاع متوسط الدخل الفردي الحقيقي الذي أعتاد الاقتصاديون على اعتباره ممثلا لمستوى المعيشة، رغم أن بعض منظري العلوم الاجتماعية الآن ينظرون الى التنمية على أنها أكثر من مجرد ارتفاع في الدخول الحقيقية أو مايعرف بالنمو الاقتصادي، ويؤكدون على أهمية أمور أخرى مثل نوعية الحياة، وصحة الأفراد، ورقي مستويات التعليم والرفاه الاجتماعي العام.

أما التنمية المطردة فتشتمل على ابتكار نظام اقتصادي واجتماعي يضمن ديمومة هذه الأهداف، وهي تنقل التركيز من النمو الاقتصادي بتعريفه الضيق الذي تبنته التوجهات التقليدية الى أهداف انسانية أشمل، إنها تتكلم عن التنمية لا عن النمو..، وعن جودة الحياة لاعن الدخل الحقيقي فقط، وحتى يمكن فهم التنمية المطردة يتوجب ذكر الحقيقة التي تقول إن الاقتصاد لاينفصل عن البيئة التي نعيش فيها، فهنالك ارتباط متبادل بينهما؛ فالطريقة التي ندير بها الأقتصاد تؤثر في البيئة ، ونوعية البيئة تؤثر في إداء الاقتصاد، إن معنى تحقيق تنمية مطردة ضمن هذا الاطار الأوسع يمكن أن يلخص اضافة الى النمو الاقتصادي بالأمور الثلاثة التالية :

* التقييم المناسب للبيئة :

التنمية المطردة تشتمل على اهتمام متزايد بقيمة

المحافظة على الموارد الطبيعية هدف استراتيجي للتنمية المطردة


ارامكو السعودية

البيئة الطبيعية، والبيئة التي يساهم في بنائها الانسان، والبيئة الثقافية ، ويبرز هذا الاطار الأوسع اما في مساهمة نوعية البيئة في تحقيق الاهداف التنموية التقليدية مثل الارتفاع في الدخل الحقيقي، أو في بساطة جزء من الاهداف التنموية المتمثلة في تحسين نوعية الحياة بشكل كلّي.


أرامكو السعودية

لابد أن تنسجم التنمية الصناعية مع المتطلبات البيئية

*** تمديد الأفق الزمني :**

تشدد التنمية المطردة على الاهتمام بكل من الآفاق الزمنية القصيرة والمتوسطة المدى، اي مابين ٥ - ١٠ سنوات وبالمستقبل بعيد المدى الذي سيرثه أحفادنا وربما أبعد من ذلك.

*** العدالة :**

تؤكد التنمية المطردة على توفير حاجات الأفراد الأقل حظا في المجتمع (أي مايسمى العدالة ضمن الأجيال)، وبالتعامل العادل مع الأجيال القادمة (أي مايسمى العدالة بين الأجيال).

وتندمج هذه المفاهيم الثلاثة: البيئة والمستقبلية والعدالة في اطار التنمية المطردة من خلال فكرة رئيسة مفادها انه لابد من تعويض الاجيال القادمة عن النقص في وفرة الموارد الذي حدث بسبب تصرفات الاجيال الحالية، والطريقة التي يتم فيها هذا التعويض هي في صميم النقاش الذي يدور حول التنمية المطردة، ويمكن التمييز بين وجهتي نظر: الاولى: ان التعويض للمستقبل يمكن ان يتم بأفضل طريقة من خلال التأكيد على ان تترك الاجيال الحالية للاجيال اللاحقة نفس المقدار من الثروة الرأسمالية التي ورثها الجيل الحالي. والثانية: ان التعويض للمستقبل يجب ان لايركز على الثروة الرأسمالية المصنوعة من قبل الانسان وانما ينبغي ايلاء الثروة البيئية مزيدا من الاهتمام، بمعنى ان الاجيال القادمة يجب ان ترث رأسمال بيئي لايقل عن ذلك الذي ورثته الأجيال الحالية.

ولابد من التأكيد هنا على أهمية التمييز بين نوعين من الثروة، الأول : هو الثروة الرأسمالية المعروفة للكثيرين وهي جميع الأشياء التي شارك في صنعها الانسان مثل الطرق والمصانع والحاسبات الالكترونية والبنى المعرفية، اما النوع الثاني فهو الثروة الطبيعية التي تتكون من مخزون الأصول البيئية مثل التربة والغابات والحياة البرية والمياه. ان هذه التفرقة سيكون لها أهمية خاصة عندما نتعرف الى الطريقة التي سيعوض الماضي فيها المستقبل عن الخسائر في رأس المال الطبيعي.

ان التمييز بين وجهتي النظر هاتين فيما يتعلق بكيفية تعويض اجيال المستقبل ضروري للغاية: لأن وجهة النظر الاولى تسمح لأي جيل باهلاك البيئة الطبيعية شريطة ان تحل محلها الثروة الرأسمالية التي يصنعها الانسان، اما وجهة النظر الثانية فلا تشكك بتاتا في أهمية خلق الثروة بهذه الطريقة، لكنها تؤكد على الاهمية الخاصة للثروة البيئية أو المخزون من الأصول الطبيعية.

إن الهدف للتنمية المطردة هو البحث عن اسلوب للتقدم الاقتصادي لايؤدي الى افساد رفاه الاجيال القادمة، وكذلك تقرير ان دور المحافظة على نوعية البيئة في عملية التقدم الاقتصادي المطرد يجب ان يقيم بمرتبة اعلى مما كان يقيم في الماضي.

أهمية البيئة :

يقول علماء الاقتصاد أن البيئة مهمة للأسباب التالية :

* إنها تساهم بشكل مباشر في نوعية الحياة: فالافراد اخذوا يقدرون ويقيمون وبشكل متزايد الحياة البرية والريفية والسكنية والهدوء والتراث الثقافي القديم.

* إنها تساهم بشكل غير مباشر في نوعية الحياة: فبيئة ضعيفة تعني صحة ضعيفة، وتعني مزيدا من الضغوط النفسية، ومزيدا من الارتباك الاجتماعي.

* إنها تساهم بشكل مباشر في النمو الاقتصادي حسب التعريف التقليدي له بأنه عبارة عن الزيادة في متوسط الدخل الحقيقي، وذلك من خلال خلق الفرص التجارية في مجال السياحة والتسلية ومعالجة التلوث.



يستوعب المفهوم الأشمل للتنمية المطردة جميع أشكال وأنماط الأنشطة العمرانية والاقتصادية للتجمعات السكانية

* إنها تساهم بشكل مباشر في قياس ادق للنمو الاقتصادي، ذلك الذي يأخذ بعين الاعتبار السلع والخدمات غير السوقية ويتعامل معها تماما كما يتعامل مع السلع السوقية، حيث تحتسب الاخيرة في الطرق المتعارف عليها حاليا لقياس النمو الاقتصادي، وتحسب النفقات المبذولة للتخفيف من الأضرار البيئية خطأ على انها مكاسب في الناتج القومي الاجمالي .

التنمية المطردة ثروة غير متناقصة :

هناك تأكيد على أن يمتلك الجيل القادم نفس المقدار من الثروة الطبيعية وتلك التي يصيغها الانسان، وينطلق هذا التوجه من مبدأ العدالة بين الأجيال، فنحن وفق هذا المنهج نستطيع أن نحقق التزامنا بأن نكون عادلين نحو الاجيال القادمة بأن نترك لهم ميراثا من الثروة لايقل عما ورثناه نحن، ومادام كل جيل يحرص على ذلك فلا يتعين على أي جيل ان يقلق على اجيال بعيدة في المستقبل، فكل جيل سيعتني بمصالح الجيل الذي يليه، وهذا من شأنه ان يحل المشكلة العسيرة المتمثلة في تحديد المدى الذي علينا ان نهتم به في المستقبل حتى يمكننا القول : ان النشاطات التنموية الحالية مطردة، في الواقع العملي المشاكل تبقى لأن اثار بعض النشاطات الحالية لابد ان تنقل الى اجيال عديدة قادمة، كما في حالة مخزون المواد المشعة وفقدان التنوع البيولوجي.

إن فكرة «الثروة الثابتة» تستدعي السعي قدر الامكان لتحقيقها بشرط تجنب السياسات أو الاجراءات أو الآثار الغير القابلة للعكس Irriversbilities، فعندما يحدث الاثر غير القابل للعكس فسيعاني منه الجيل القادم والاجيال اللاحقة، ان هناك اسبابا تدعو للتفكير بأن معظم حالات عدم القابلية للعكس ستأخذ شكل خسائر في رأس المال الطبيعي، مثل حالة فقد الاجناس، ودمار المناطق الريفية والساحلية والحيد البحري المرجاني والغابات ...الخ، وبعض رأس المال الطبيعي يمكن اعادة بناؤه فالأشجار يمكن ان تنمو من جديد، وبالطبع فالكثير من بدائل البيئة الطبيعية المصنوعة من قبل الانسان قد استبدلت بيئة بأخرى، واحيانا بتنوع بيولوجي اكثر من قبل ، واذا تعرض رأس المال المصنوع من قبل الانسان الى الدمار فانه يمكن اعادة بنائه بسهولة وهذا ماتدل عليه تجاربنا في اعادة البناء عقب الحروب والكوارث الطبيعية، الا ان التراث الانساني بالطبع لا يمكن اعادة بناؤه، لهذا فان فقدان عناصر التراث من آثار ونصب تذكارية قديمة أو مواقع تاريخية متميزة يجب ان يصنف على انه خسائر غير قابلة للتعويض.

وهذا يؤكد على أن تعريف التنمية المطردة بأنها ميراث ثابت من الثروة وصف غير كاف، فهو يحتاج الى تعديلات تسمح - قدر الامكان - بتجنب الخسائر غير القابلة للعكس للأصول الطبيعية أو التعويض عن فقدانها بأصول طبيعية أخرى.

التنمية المطردة ثروة طبيعية :

إن الافتراض الضمني في التعريف الأول للتنمية المطردة هو أن رأس المال المصنوع من قبل الانسان ورأس المال الطبيعي قابلان للاحلال، بمعنى إنه مادام المجموع الكلي لرأس المال المصنوع من قبل الانسان والطبيعي لا ينخفض بين جيل وآخر فان المخزون من الأصول الطبيعية يمكنه الأنخفاض لأن النمو في رأس المال المصنوع من الإنسان سيعوض هذا النقص، أي إن المجتمع ككل يمكن أن يكون في وضع افضل من خلال استنفاد الموارد الطبيعية والاصول البيئية مادام يستخدم عوائد هذا الاستنفاد لبناء مخزون من أصول اخرى.

إن التوجه البديل لهذا المفهوم هو التركيز على الأصول الرأسمالية الطبيعية، هذه الأصول يجب أن لاتتناقص عبر الزمن، أي أن كل جيل يجب أن يرث على الاقل نفس البيئة الطبيعية، لكن ماأسباب النظرة الضيقة هذه؟

هناك أسباب يمكن إيجازها فيما يلي :

* - إنعدام امكانات الإحلال : إن جوهر مقولة الثروة الثابتة هو أننا نستطيع التبديل



الآثار السلبية على البيئة تؤثر على المجتمعات الفقيرة أكثر من الغنية

بين الأنواع المختلفة لرأس المال، فكل نوع يمكن ان يحل محل الاخر، في الواقع العملي هذا صحيح الى حد ما، فهنالك كثير من الاصول البيئية لابديل لها، فلا يستطيع أحد ان يبتكر وسيلة لاعادة بناء طبقة الاوزون على سبيل المثال، أو وظيفة تنظيم المناخ التي تؤديها النباتات التي تعيش في اعماق البحار، أو الوظيفة التي تؤديها الغابات الاستوائية في حماية تجمعات الامطار التي تمد الأنهار بالمياه، أو وظائف الاراضي المائية في تنظيف التلوث وفي احتجاز المواد الغذائية، اذ ان هذه خدمات توفرها الاصول الطبيعية ولا يوجد لها حتى الآن أي بديل متوفر، واذا كان رأس المال الطبيعي وذاك المصنوع من قبل الانسان غير قابلين للاحلال بسهولة، فان لدينا سببا مهما لحماية الاصول الطبيعية التي نحوز.

* – عدم التأكد : إن التقدم التقاني يمكنه بالطبع أن يزيد من درجة الإحلال بين هذين النوعين من رأس المال، فربما لن نحتاج المحيطات يوما ما كمصدر للطعام أو كاداة لتنظيم المناخ أو لن نحتاج الى القيم الغذائية للسواحل البحرية، ولكن هذا يثير تساؤلات فيما يتعلق بالكيفية التي علينا أن نتصرف بها إذا كنا لا نستطيع أن نكون متأكدين من أن مثل هذا الاحلال يمكن ان يحدث، واذا كنا لانعرف نتيجة فعل ما فانه من الصعب اعتبار تصرفنا وكأن نتيجته حتما ستكون جيدة حتما ومنسجمة مع السلوك العقلاني، ان معظم افراد المجتمع – هم في العادة– متجنبون للمخاطر، وذلك لأنهم يحبون تجنب النتائج السيئة، واذا كانت المخاطر البيئية يمكن ان تتسبب في عواقب سلبية واسعة النطاق، فان تجنب المخاطر يلزمنا بحماية البيئة الطبيعية، وفي اقل تقدير حتى ينمو فهمنا في كيف تؤدي البيئة وظيفتها في دعم الحياة.

* – عدم القابلية للعكس : وتعد هذه حالة متطرفة من عدم القدرة على الاحلال فحين نفقد أحد الأجناس لايستطيع رأس المال المصنوع من قبل الإنسان أن يعيد إنتاجه.

* – العدالة : ان الفقراء هم عادة اكثر تأثرا بالبيئة السيئة من الاغنياء، وهناك ادلة متضاربة في خصوص كيفية تقدير الافراد للبيئة حتى تتغير مستويات دخولهم، ان الاستعداد لاتخاذ تصرف ما ليس مثل الاستعداد للدفع مقابل حماية البيئة أو تقييمها، ولم يجد الباحثون إلا أدلة قليلة ضعيفة تدعم الفكرة القائلة ان الاغنياء مستعدون في سبيل تحسين جودة البيئة لدفع نسبة من دخولهم اعلى من تلك التي يمكن للفقراء ان يدفعوها، واذا كانت العلاقة غير واضحة في الدول المتقدمة فانها جلية تماما في الدول النامية.

إن ثبات وارتفاع المخزون من الموارد الطبيعية مرشح تماما لخدمة الهدف المتمثل في العدالة ضمن الاجيال عندما تكون انتاجية النظام البيئي ضرورية لرفاهية الفقراء. وفي مثل هذه الحالات فاننا– حقيقة – نتكلم عن الحفاظ على الرفاهية المطردة، وهذا الامر واضح جلي في الدول النامية حيث الرفاهية الريفية على وجه الخصوص تعتمد بشكل مباشر على الموارد الطبيعية، فهي تعتمد على الكتلة الحيوية الخشبية والنباتات لعلف المواشي، وعلى المواد الخام كلحوم الحيوانات البرية والاسماك للحصول على البروتين، والاعتماد على بقايا المحاصيل وروث الحيوانات والمواد العضوية كأسمدة، وعلى موارد المياه للاستهلاك المنزلي، وعلى الوقود الخشبي وهكذا. ولما كان ارتفاع مستوى رفاه الفقراء مرتبطا باطراد استهلاك الموارد الطبيعية فان الخلافات أو التناقضات حول العدالة تنخفض الى حدها الادنى، ويمكن ان يؤدي تحسن قاعدة الموارد الطبيعية أو الحفاظ عليها الى خلق توازن مناسب بين حاجة الفقراء أو لتحقيق رفاهية افضل وحاجات الاجيال القادمة أو الحاجات المستقبلية للجيل الحالي.

إن التنمية إذن مصطلح قيمي، فما يمثل تنمية أو تحسنا لشخص ما لايمثل بالضرورة تنمية أو تحسنا لشخص آخر والى حد ما فان الكثير من عناصر التنمية يظهرها المصطلح الاقتصادي « المنفعة» أو «الرفاه»، وهذا هو – في الواقع – تفسير معظم الاقتصاديين للتنمية المطردة بأنها منفعة مطردة مستمرة، وبكلمات ان التنمية المطردة تنعكس على زيادة رفاه الافراد وهذا افضل أو على الاقل ان يظل ثابتا عبر الزمن، ومع اننا يمكن ان نختلف حول مضمون التنمية المطردة أو كيفية تحقيقها ، فاننا سنتفق على الحد الادنى القائل: إنها تحقيق رفاهية مستمرة توازن بين مصالح وسعادة الجيل الحالي وبين متطلبات ورفاهية الأجيال القادمة ، وما لم نفعل شيئا تجاه هذا الأمر فإن أحفادنا سيلوموننا كلما تذكروا أجدادهم ! ■

جزيرة هاواي

شعر : محمد بن أحمد العقيلي - جيزان

«هاواي» يارفّة في لحظ نجلاء ... يابسمة ومضَتْ من ثغر حسناءِ
يادفقة الطيب في فجر يشعّ سنى ... وطلّة الصبح في غيم وأنداءِ
دنيا موشاة بالأحلام ساحرة ... شعّ العبير بها في كل أنحاءِ
يغفو الجمال على اشذائها سحراً ... ويمرح الصبح في ظلٍّ وأفياءِ
تشع في ثبج الأمواج زنبقة ... نضيرةً بين طلّ الفجر والماءِ
خميلة الفنّ فوق الأرض قد جليت ... جلي العرائس في حفلٍ وأضواءِ
هفافة الحسن في زاهي غضارتها ... زهو الحياة، سرى في كل أرجاءِ
تفرّدت بجمال فائق غنيت ... - على الطبيعة - عن نعت واطراءِ
تمري النسائم من أخلافها درراً ... كلؤلؤ نثرته كفّ عذراءِ

* * *

يانجمة أشرقت فوق المحيط سنى ... تشأو الكواكب في وهج ولألاءِ
أرض تظللها الغاباتُ قد كسيت ... غلب الحدائق في ميثاء دكناءِ
جبالها رفلت في الغيم واتشحت ... أحلى الثمار وأزهار وأشذاءِ
تزهو الهضاب على أكناف رابية ... - غنّاء، فواحة الأنسام- شماءِ
يموج فيها اخضرار النبت تحسبه ... بحراً تماوج في نكباء هوجاءِ
بساط نبت يطول الأرض من ترف ... في حلة من زرابي الوشي سيراءِ
ننزه الطرف في فيحاء يغمرها ... بوح الزهور نثا من كل شجراءِ
أزهار ورد، جلّ الله خالقها ... شياتها، لون أطياف وأضواءِ

* * *

فضّية الرمل خضراء البحار لها ... وهج اللآلي من بطحا وحصْباءِ
اللازورد مياهاً والسّنا ألقاً ... يغسل الأفق في صبح وامساءِ
تدافع الموج في تيارها مرحا ... تدافع الغيد في دلّ وإغراءِ
ترى الينابيع كالحيّات ساربة ... بين الحشائش، في وضح وإخفاءِ
تعثرت في نضير النّبت واطّردت ... بين الرياحين في جري وإرساءِ
تلوب في مخمليّ العشب لائذة ... في استبرق الزرع، من حرٍ ورمضاءِ
هناك أروع مايغريك مشهده ... ويلهم الشعر في جرس وايحاءِ
حوامل يانع الاثمار دانية ... قطوفها، من جني نحل وصهباءِ
كأن يانعها من صفو أشْربة ... قامت بدون كؤوس، خِلْن للرائي
لله أيام أنس قد مضين بها ... صداحة الأفق في خفض ونعماءِ



الأطفال واللعب

بقلم الأستاذ : وفيق صفوت مختار - مصر

يكشف الأطفال عن أنفسهم بشفافية خلال اللعب ، فهم يلعبون بدافع من ضرورة داخلية ملحة . والفطرة تغرس فى كل طفل سوي نزوعا قويا إلى اللعب لتضمن اشباع حاجات نمو اساسية معينة ، والثقافة تتولى توجيه هذه الدوافع ومحاولة كبحها وإعادة توجيهها لتسير فى الطرق والمسالك المقبولة ، لكن ذلك يعرض الطفل دائما لخطر عدم الحصول على لعب يتلاءم مع مرحلة نضجة .

اللعب .. تتابع نمائي :

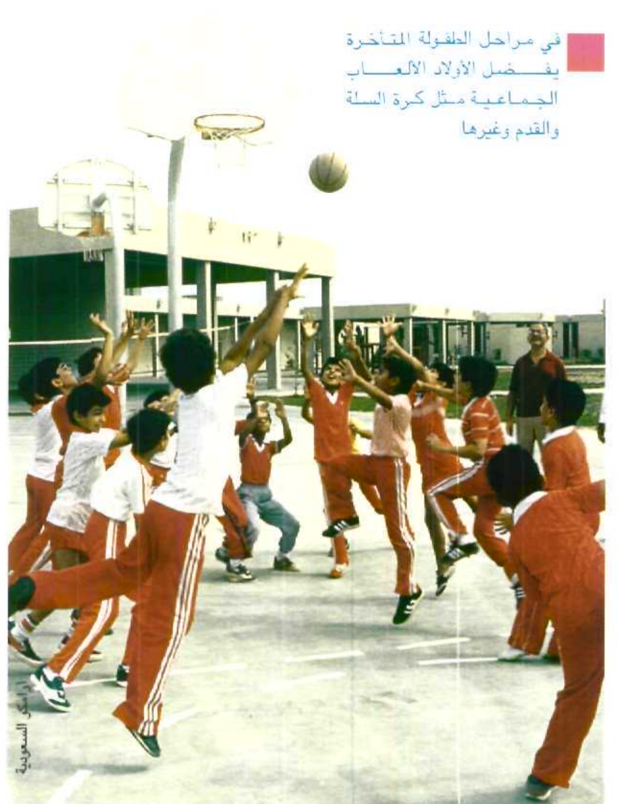
فى كثير من مجالات اللعب نستطيع تبين تتابع نمائي تكون فيه أشكال اللعب متوائمة على الدوام مع انماط النضج فى تقدمها . وكثيرا ما يبدو لعب الطفل للمشاهدة العابرة قائما على المصادفة ومتحددا بالعوامل البيئية العارضة ، مثل رفاق اللعب ، واللعب التي تقع فى يده ، وساحات اللعب التي يمارس فيها ألعابه . ولو اننا أمعنا النظر فى مشاهداتنا لاكتشفنا وراء هذا الاختيار نزعات نمو عميقة الأثر ، تتعاقب مع ازدياد النضج : رمل وماء، وعروسة ودمية دب ، وعربات وسيارات ودراجة ثلاثية العجلات، ولعب بالعرائس فى المنزل ولعب تمثيلي بالمتجر والمستشفى والمدرسة، فقراءة، فمذياع، فدراجة بعجلتين، فعرائس ورقية، فكتب هزلية ضاحكة .

وهناك اختلافات تقوم على الفروق الفردية والجنسية وعلى المؤثرات الثقافية ولكن السن هو العامل الاساس، والاطفال ذوي الذكاء العالى الذين يتجاوزون امكانات اعمارهم يظلون مطابقين لعمرهم الزمني فى كثير من مهماتهم التلقائية فى اللعب . وهذه الحقيقة دليل على خطورة شأن اللعب وأهمية بالنسبة للنمو .

اللعب الطبيعي الحر :

إن اللعب الحر ، غير المنظم يسمح للاطفال باستخدام عضلاتهم الكبيرة استخداما ينطوي على نشاط وايقاع موسيقى ، وذلك عن طريق الألعاب الشعبية والموسيقى والالعاب التمثيلية، فمثل هذة الأنشطة تفتح الطريق لينابيع الشخصية التي هى من العمق بحيث لا يصل اليها التعليم الخامل المقيد الذى يتلقاه الاطفال داخل حجرات المدارس . ومثل هذا اللعب التعبيرى يؤدى بطبيعتة الى تحسنات كثيرة تدعواليها حاجة ملحة فى بناء الجسم وفى الضبط الحركى ، كما سيكون له أثر فى تنظيم الأنفعالات والعواطف.

في مراحل الطفولة المتأخرة يفضل الأولاد الألعاب الجماعية مثل كرة السلة والقدم وغيرها



إن التقدم فى مجالات الفنون والصناعات يزيد عن حاجة الاطفال وصحتهم النفسية الى الحماية والوقاية التى تتطلب فهماً أعمق لاهتمامات الاطفال باللعب . ومع تقدم الفنون المتصلة بالصناعة جاء استخدام المذياع والهزليات وسينما الاطفال والتلفزة وما تقدمه من رسوم متحركة ومغامرات . وأخذت هذه الوسائل تلعب دوراً بارزاً فى الترويح عن الأطفال وتسليتهم كما أنها تبصّرهم بمظاهر الحضارة التى ولدوا فى ظلها ، ولابد لهذه المظاهر من ان تهز انفعالاتهم وعواطفهم كما تثير خيالاتهم المبهجة فهي الى هذا الحد تؤدى وظائف اللعب الحقيقية لكنها لاتستطيع أن تكون بديلاً عنه . فالتلفاز أصبح يستهوى الصغار ويحملهم على الجلوس فى أماكنهم لفترات تبلغ حوالى عشرين ساعة اسبوعيا فى المتوسط بدلا من اللعب الجماعي فى الخلاء خارج المنازل . واللعب يستعيد الماضي فى الهزات الانفعالية التى تصحب الألعاب المختلفة والتسليات التى تتمثل فى رحلات الاستكشاف والنزهات والاقامة فى الخيام والعناية بالازهار والنباتات والطيور والحيوانات .

واللعب تستحثه بواعث حب الاستطلاع والتجريب وانتهاز الفرص واستغلالها. وهو عند جميع الأطفال يقوم بتنظيم القدرات ، كما أنه فى لحظات معينة يكشف عن فردية الطفل وما لديه من قوى وامكانات وقدرات .

نظريات اللعب :

*** نظرية الإعداد أو التمرين:**

صاحب هذه النظرية هو« كارل جروس» الذي يؤكد أن الطفل يولد مزودا بمجموعة

من الاستعدادات الفطرية بعضها اصيل فى الجنس البشرى لقدم عهده ، وبعضها حديث العهد . و «جروس» ينفى وجود غريزة تسمى « غريزة اللعب » وان كان يسلم بوجود استعداد فطري للمحاكاة ويعتقد «جروس» ان القصد من استخدام هذه الاستعدادات الفطرية لم يكن مجرد اعداد الفرد ليكتمل نموه بل تثبيت هذه الميول الفطرية في الجنس البشري . لذلك نجد الكبار ينزعون احيانا الى ممارسة بعض الألعاب التى كانوا يتمتعون بها فى عهد الطفولة .

وفى عام ١٩١١ م شبه «جروس» اللعب بصمام الامن فى وظيفته حيث انه يستعمل لتخفيف ضغط داخلى وعواطف مكبوتة فى الانسان دون ان يؤثر ذلك فى طبيعتها .



في حوالي سن الخامسة يتطور لعب الأطفال ويزداد استقلالية ويميل الطفل في هذه السن إلى التلوين والقطع واللصق.

*** نظرية الإعادة :**

صاحب هذه النظرية هو « ستانلى هول» وهو يعتقد أن الانسان فى نموه يمثل الاطوار المختلفة التي اجتازها الجنس البشرى، فالاطفال حين يتسلقون الاشجار انما يمثلون تلك المرحلة التى اجتازها الانسان وهو يتسلق الاشجار وعلى ذلك فنحن نمارس اشياء قد الفها الانسان من قبل . ومع ذلك يرى أن من الواجب على كل فرد أن يحيا حياة الشباب متمتعا بحيويته لأن الدوافع التى تدفع الفرد الى التقدم والرقي تظهر فى سن المراهقة . على ان النقد الذى وجه الى هذه النظرية يتمثل فى ان بعض انواع اللعب فى المراهقة مثل القفز والقذف لايمكن ان يمثلا الاطوار التى اجتازها الجنس البشرى فى رقيه وهما تراث اجتماعى وليسا تراثا عضويا .

*** نظرية النشاط الزائد :**

تؤكد هذه النظرية ان اللعب وسيلة لتصريف النشاط الزائد الذى يشعر به الانسان بعد قيامه بأعماله . ولكن الملاحظ ان الاطفال لا يكفون عن اللعب لفترة طويله، كما نلاحظ أن بعض الاطفال يستمرون فى لعبهم احيانا رغم التعب والاعياء والمرض. وعلى ذلك يتضح ان الدافع للعب ليس ما يشعر به الفرد من نشاط زائد .

ويؤكد « فردريك شيلر » « وهربرت سبنسر» أن الإنسان قد مرت به فترة لم يشعر فيها بضرورة استنفاد كل نشاطه من أجل العمل الذى يضمن له البقاء حيث كان يستعمل نشاطه وسيلة لهذه الغاية . أما نشاطه من أجل اللعب فهو غاية فى حد ذاته أي انه يمتع نفسه باللعب ويحقق لذة وارتياحا .

*** نظرية الاستجمام والترويح :**

تؤكد هذه النظرية ان اللعب عمل مرغوب فيه لأنه يتطلب ان يترك الانسان عملا متعبا ثقيلا على نفسه ليمارس اعمالا اخرى محببة اليه.

ونستطيع ان نشير الى بعض الآراء والملاحظات حول مفهوم اللعب :

- يذكر « شاند» فى كتاب «اسس الاخلاق» « ان مقدار ما يتمتع به الانسان من لذه خلال لعبه يتوقف على مقدار ما يبذله من جهد، فكلما كان الجهد قليلا زاد تمتعه بالنشاط» .
- ويؤكد «شود» : « ان الغرض من اللعب هو الاستمرار فى ممارسة نشاط سار وليس لمجرد التعبير عن غريزة كامنة فى الإنسان».
- ويعتقد « لهمان » و« ويتى» : « إن كثيرا من ضروب اللعب تعويضية أى أن الإنسان يعوض بها ما يشعر به من ضعف ونقص وتشعره بالقوة والسيطرة والتفوق ». وبذلك نخلص الى بعض المبادىء السيكولوجية المتعلقة باللعب .
- اللعب نشاط مهم فى حد ذاتة.
- اللعب وسيلة للتسرية عن النفس لما يمتاز به من حرية النشاط فى اثناء ادائه ولبعده عن المؤثرات والالتزامات الاجتماعية.
- يشعر الإنسان بلذة التفوق فى أثناء اللعب وهذا شعور طبيعى فى كل انسان .
- اللعب فى حد ذاته عمل تلقائي يقوم به الانسان بدافع من نفسه دون أن يلزمه أحد بذلك .
- اللعب وسيلة يستطيع بها الانسان أن يظهرما لديه من ميول واستعدادات دون أن يكون واقعا تحت تأثير خارجي ، الا من بعض القوانين الخاصة باللعبة بقصد معاونته على زيادة التمتع بها والنبوغ فيها مع ضمان سلامته.
- اللعب وسيله لتهذيب بعض غرائز الإنسان والسمو بها فغريزة النضال يتم تهذيبها وصقلها عن طريق ممارسة الالعاب الرياضية المختلفة .
- يساعد اللعب على تحسين صحة الانسان الجسمية والذهنية وخلق التوازن الضرورى بينه وبين عمله .



• اهمية اللعب :

الأهمية النفسية :

في اطار الصحة النفسية يُنظر الى اللعب على انه وسيلة لفهم سلوك الطفل ودراسة مشكلاته وعلاجها. ويفيد اللعب في النمو العضلي ، ويطلق الطاقة الزائدة التي تجعل الطفل متوترا اذا لم تصرف . ويساعد اللعب في اشباع حاجات الطفل النفسية مثل التملك حيث يشعر بأن هناك اجزاء من بيته يستطيع السيطرة عليها .

وقد اوضحت الباحثة « ماري بولاسكي » ان اللعب يتوقف على نوع وتركيب اللعب او أدواتة وعلى خيال الطفل ومدى حريته في اللعب وترى ان من الافضل ان نزود الطفل بأدوات كثيرة وغير محددة ليلعب بها حتى تنمي لديه الابتكار والخيال وذلك افضل من اللعب المعروفة المحددة.

الأهمية الاجتماعية :

نلاحظ في اللعب توزيع الادوار الاجتماعية مما يتيح فرصة للتكليف حين يتعلم الطفل أنه لا يمكنه دائما ان يلعب الدور الذي يرغب فيه . ولذلك ينبغي عليه ان ينتظر دوره ليصبح بطلا لوقت ما . ومن المهم بالنسبة للشخص الذي يلاحظ العاب الاطفال ان يتنبه الى نوع الخيال الذي سيتعرض له الطفل لان هذا يعكس نموه الاجتماعي . فيلاحظ مثلا قيامه بدور المهاجم او دور المنسحب . كما يجب عليه ان يلاحظ ايضا الدور الذي يلعبه الجنس في اللعب فالعاب الاولاد العابا جافه وهم يقومون بمخاطراتهم خارج المنزل ، اما البنات فيبقين مع دمياتهن ويقمن بتمثيل ادوارهن المنزليه . وعلى ذلك يحدث تعلم معين من خلال لعب الاطفال يتمثل في :-

* النضال من اجل القيادة .
* الحاجة الى قواعد تخضع رغبات الفرد لصالح الجماعة.
* التعبير عن حاجة الطفل لبعض الاستجابات الانفعالية من اقرانه .
* اشباع الحاجة للانتماء الى مجموعة عن طريق تقبلها له.
* الفرصة التي تتاح للتعاون وتعلم روح الفريق وانكار الذات .

الأهمية التشخيصية العلاجية :

يختلف سلوك الطفل المضطرب نفسيا وهو يلعب عن سلوك الطفل السليم نفسيا . ويستفيد المعالج النفسي من اللعب كوسيلة للتعبير الرمزي عن خبرات الطفل في عالم الواقع ، ويعبر الطفل في لعبه عن مشكلاته وصراعاته وحاجاته واحباطاته حين يلعب بالدمى مع رفاقه . ويقص الطفل خلال لعبه بصورة رمزية الجو الانفعالي في الأسرة وعلاقاته بالآخرين خاصة الوالدين والاخوة والرفاق . وقد قدمت «هندركس» تحليلا وصفيا للعلاج باللعب .

ويستفاد من العلاج باللعب في العيادات النفسية ، حيث يعتبر أداة علاجية مهمة للاطفال المصابين باضطرابات نفسية . وفي العيادة لابد ان تجهز حجرة اللعب بألعاب مختلفة الشكل والحجم والموضوع لتمثل الرموز المهمة في حياة الطفل والتي توجد في مجاله السلوكي كما يستخدم في حجرة العلاج الاختبارات التي تعتمد على اللعب .

وتفيد دراسة سلوك الاطفال خلال اللعب في فهم علم النمو النفسي فقد درست «سوزان جولدبرج» و « مايكل لويس » سلوك اطفال رضع يبلغون من العمر عاما واحدا خلال اللعب في مواقف مقننة لملاحظة الفروق بين الجنسين في هذه السن ووجدوا فروقا واضحه بين الجنسين في سلوك الاطفال نحو امهاتهم وفي لعبهم . ودلت الملاحظة المبكرة لسلوك الامهات نحو اطفالهن وهم في سن ستة أشهر أن هذه الفروق بين الجنسين في السلوك ترجع إلى سلوك الأمهات نحوهم، فقد لوحظ ان الامهات يسلكن طرقا مختلفة في تربية البنات عن البنين حتى في مرحلة الرضاعة مما يعزز السلوك المرتبط بجنس الطفل منذ هذه السن المبكرة.



يكون اللعب في مراحل الطفولة المبكرة فردياً واستجابة لحاجة الطفل ورغبته

لعب الأطفال في مرحلة الرضاعة :

نلاحظ ان اللعب بسيط وعضلي في جملته ، ويكون فرديا استجابة لحاجة الطفل ورغبته فقط ويلاحظ ان طفل السنه الاولى ونصف السنة يستطيع ان يضع الاشياء داخل وخارج اشياء اخرى ويحرك الأثاث ويلعب بالعرائس والكرة ويملأ ويفرغ اوعيته . ويدق الكتل بعضها ببعض ويبني برجا بثلاثة او اربعة منها .

وفي سن سنتين يملأ الاطباق ثم يفرغها ويلعب بالأشياء الصغيرة ويطعم عروستة ويتناول الكتل بيديه ويملأ بها العربات ويحب الكتل الملونة .

ويجب ان تكون اللعب في السنة الاولى ملونة خفيفة الوزن خالية من الزوايا الحادة . وكلما تقدم في العمر احتاج لعبا تحدث صوتا وتكون زاهية الالوان مثل الحلقات الخشبية واكواب البلاستيك .

وبعد السنة الاولى يجب الابتعاد عن اللعب الميكانيكية فهي تلائمه بعد السنة السادسة . ومن الخطأ ان نتصور انه كلما

ارتفع ثمن اللعبة زادت متعة الطفل بها فاللعبة الوحيدة التي يجوز ان تشترى غالية الثمن هي الدراجة ذات العجلات الثلاث. ويجب ان لايقدم الى البنين لعبا مثل البندقية بحجة ان لهم غرائز عدوانية . وحينما يعمد الطفل الى تحطيم اللعبة فذلك لأنه بدأ يسأمها على حين تفيده اللعب التي يمكن تقسيمها الى اجزاء ثم اعادة تركيبها . وليس من الضروري ان يكون لدى الطفل عددا كبيرا من اللعب .

وعلى الوالدين تجنب اعطاء الاطفال لعبا مثل الاقواس والسهام والاقلام ذات الاسنان المدببة ويجب ان يعطى للطفل صندوقا للعب ليعرف أين يجد لعبه واين يجب ان يضعها فذلك يساعده في معرفة معنى الملكية والنظام .

ومن اللعب المفيدة لهذه السن سلة مملوءة بالمكعبات المختلفة الأحجام والاشكال حيث يستطيع ان يبني منها بيوتا .

ويمكن في هذه المرحلة شراء كراسة تلصق فيها الام بعض الصور الملونة حيث يجد الاطفال متعة في تصفح هذه الكراسات وحينما يشاهدون اشياء مألوفة لحيوانات وطيور فانهم يكتسبون كثيرا من المعلومات مما يساعدهم في تعلّم اللغة والكلام .

في مرحلة الطفولة المبكرة :

يلعب الطفل في بداية السنة الثالثة بنفسه مع نفسه ثم مع الآخرين في بعض الاحيان ولكن لايوجد اثرا للمنافسة والتعاون.

وبالتدريج يكون الطفل اصدقاء اللعب وهنا تظهر الاهمية الاجتماعية حيث يتعلم عن طريق اللعب بعض العادات الاجتماعية مثل اصول اللعب ومراعاة ادوار الاخرين واحترامه لأفكارهم .

ويتعرف في هذه السن الى المثيرات الاجتماعية التي تتخلل اللعب ويقل لعبه مع نفسه . ويبدأ لعب البنين يتمايز عن لعب البنات .

ويلاحظ ان الطفل في سن عامين ونصف العام يلعب في البيت بعروسته أو سيارته وكذا بالرمل والماء ويروقه اللعب بفقاقيع الصابون . ويصنع من الكتل منشآت ويطلق عليها أسماء.

وفي سن ثلاث سنوات يركب دراجته ثلاثية العجلات ويتأرجح على الأرجوحة ويلعب مع رفاق من صنع خياله . ويلون بأقلام التلوين.

وفي سن الرابعة يلعب مع آخرين ، لعبا تمثيلية تتناول المنزل والمستشفى ويتضمن التزين بملابس خاصة وهو خليط من الحقيقي والتخيلي ، ونراه يقوم بحيل والاعيب وهو يرسم وينقش ويلون .

ويزداد لعبه استقلالية في السن الخامسة ويتمركز كثير من لعبه حول البيت . ويبني بيوتا بكتل كبيرة او بأثاث مغطى بقماش ويلون ويقطع ويلصق الحروف والاعداد ويحب ان ينقل التصميمات ويقلدها بالكتل .

واللعب التي تناسب الطفل في تلك المرحلة هي : الطباشير والسبورة والكراسات والورق وأقلام الالوان ومبراة الأقلام .

وفي هذه السن يجوز أن نعطي الطفل *مقصا غير حاد* لقص الورق . وقد يفرح الطفل بطاقم الشاي المصنوع من البلاستيك مع بعض الأدوات الاخرى . ومن اللعب المناسبة أيضا للهواء الطلق الدراجة ذات العجلات الثلاث.

مرحلتي الطفولة الوسطى والمتأخرة :

نجد أن البنين والبنات في هاتين المرحلتين يفضلون الألعاب الجماعية ، ويلاحظ أن طفل السادسة يميل الى العاب الجري، والحركات البهلوانية، والقفز على الحبل، ولعب الكرة، والضرب، والقذف، والطرق بالمطرقة، والقطع بالمنشار . وتكوين كلمات باعادة ترتيب الحروف . وكذلك التلوين، والرسم، والقص، واللصق، والتهجية الشفوية او الحساب العقلي.

وفي سن سبع سنوات يحب الطفل الكتب الهزلية ويزداد اللعب الإنفرادي وينبذ الدراجة الثلاثية العجلات . ويكون الإهتمام بالسباحة غالبا وقويا . ويمتاز لعب البنات بقص العرائس الورقية وارتداء ثياب الكبار وتمثيل دور المعلمة ، وكذلك القفز على الحبل وتنطيط الكرة. اما البنين فيميلون الى اللعب في العراء كالجري والمصارعة ، وصنع طائرات من الورق . وفي سن الثامنة يفضل الطفل صحبة أحد الكبار خلال اللعب ، ويفرق بين العمل واللعب. ويقوم باللعب التمثيلي في حفلات يقيمها مع بدء الاهتمام بألعاب الجماعة ككرة القدم ، والجري والمطاردة .

وفي سن التاسعة يتعرض الطفل للاجهاد في اللعب وتكون الفوارق الفردية اقوى فبعضهم يقرأ اويصغي الى المذياع اكثر من غيره وبعضهم يهتم بجمع الطوابع ورسم الخرائط . أما البنات فيملن الى استعمال العرائس الورقية واللعب التمثيلي ويقمن بتمثيل الروايات الموضوعة بتفصيل وإحكام ، ويضعن قدرتهن البسيطة في الطبخ والحياكة موضع التنفيذ العملي . اما البنين فيهتمون بالألعاب العنيفة كالملاكمة . وفي نهاية مرحلة الطفولة المبكرة تظهر الهوايات وترجع أهميتها الى أنها تعطى الفرد فرصة التعبير عن فرديته وميوله واهتماماته وتحقق له الشعور بالمكانة الخاصة اذا كان لا يستطيع تحقيق ذلك في *اللعب الجماعي* .كما أن اللّعب يعد *انعكاساً للحضارة* التي يعيش في كنفها الطفل والخبرات التي يمرّ بها . فلم يلعب الأطفال في الماضي بالطائرات والصواريخ كما يلعبون بها اليوم



يفيد اللعب في النمو العضلي للطفل وفهم سلوكه

المراجع :

١- د. حامد عبد السلام زهران :« علم نفس النمو» عالم الكتب الطبعة الرابعة - القاهرة ١٩٧٧.

٢- حلمي ميخائيل : «الجماعة والتربية - القاهرة [ب. ت]

٣- ارنلد جزل « الطفل » الجزء الثاني - ترجمة عبد العزيز توفيق ؛ مراجعة احمد عبد السلام الكرداني - لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة ١٩٥٧

٤- جرترود دريسكول « كيف نفهم سلوك الطفل » ترجمة د. رشدي فام . مراجعة محمد السيد روحة - دار النهضة العربية -القاهرة ١٩٦٤.

٥- روث سترانج « مساعدة الاطفال على حل مشاكلهم » - ترجمة صلاح الدين لطفي - اشراف د. عبد العزيز القوصي . مكتبة النهضة المصرية -

القاهرة [ب/ ت]



أخطاء لغوية متداولة

بقلم الأستاذ : إبراهيم نويري - الجزائر

* التنصت لا التصنت :

تردّد الكثير من الألسنة والأقلام في عدة مواطن ومناسبات، دون انتباه كلمة «التصنت» بتشديد التاء النون- والحقيقة أن ذلك خطأ، وصوابه هو «التنصت»، لكلمة «النصت» بتشديد النون وسكون الصاد، فعلها ثلاثي : نصت له - ينصت - نصتا : أي سكت مستمعا الى حديثه. وكلمة «الأنصات» فعلها رباعي : أنصت - ينصت - إنصاتا : أي استمع أو أحسن الأستماع للحديث. وأنصت فلان فلانا : اي أسكته - وأنصت المحدّث القوم: أي جعلهم ينصتون . فالانصات هو السكوت والاستماع للحديث.

أما كلمة « التنصت» فأن فعلها خماسي: تنصّت - يتنصّت - تنصيتا . فـ «تنصت» معناه: تسمّع أو تكلف النصت. فوقع القلب في هذه الكلمة أي «التنصت» فقال بعضهم خطأ « التصنت»!!

ويمكن أن يقال : إنتصت فلان لفلان، أي نصت له. واستنصت: أي وقف منصتا واستنصته: أي سأله أن ينصت له .

كما أن القياس الصرفي لايمنع أن يقال: «الانتصات» و «الأستنصات». وصفوة القول أن كلمة «التصنت» بتشديد التاء والنون خطأ لغوي، صوابه «التنصت» بتشديد التاء والصاد وفتح النون دون تشديد.

* مبيوع لا مباع :

يقول بعض الناس عن الشيء الذي تم بيعه : إنه مباع. وهذا خطأ لغوي، صوابه أن نقول: مبيع أو مبيوع: من باع الشيء يبيعه بيعا.

وقد استعملت العرب كلمة «مباع» للشيء المعروض للبيع- الذي لم يتم بيعه بعد - وهو من :اباعه. يبيعه، اباعة، فهو مباع. وذلك كما قال الشاعر الجاهلي « الاجدع بن مالك الهمداني»:

ورضيت آلاء الكميت فمن يبع ... فرسا فليس جوادنا بمباع

* جزّ ضأنه لا حلق ضأنه !

نسمع في بعض الاحيان، خاصة في البادية بين الأعراب وأصحاب المواشي قولهم : حلق فلان ضأنه، وهذا خطأ والصواب هو : جزّ ضأنه. لأن للضأن صوفا. أما المعز:فيمكن لنا أن نقول : حلق معزه.. وذلك لأن للمعز شعرا يحلق كشعر الانسان.

وصفوة القول : إن الفعل «جزّ» يستعمل للصوف وغيره.. فنقول : جزّ الرجل الصوف والشعر والحشيش والنخل والزرع.. أما الفعل «حلق» فلا يستعمل الا للشعر فقط

* مُسوّدة الكتاب.. لا مَسوّدة الكتاب!

ونسمع كذلك لاسيما بين جمهور الكتاب والمؤلفين قولهم : قدّم فلان مسودة كتابه بضم الميم وسكون السين للناشر أو للطبع. وهذا خطأ لغوي.. والصواب هو ان نقول :قدّم فلان مسوّدة كتابة بضم الميم وفتح السين للطبع.. فالمسوّدة في لغة العرب هي: الصحيفة أو الصحائف تكتب أوّل كتابة ثم تنقح وتحرر وتبيض.. وبذلك تكون في صورتها الأخيرة جاهزة للطبع .

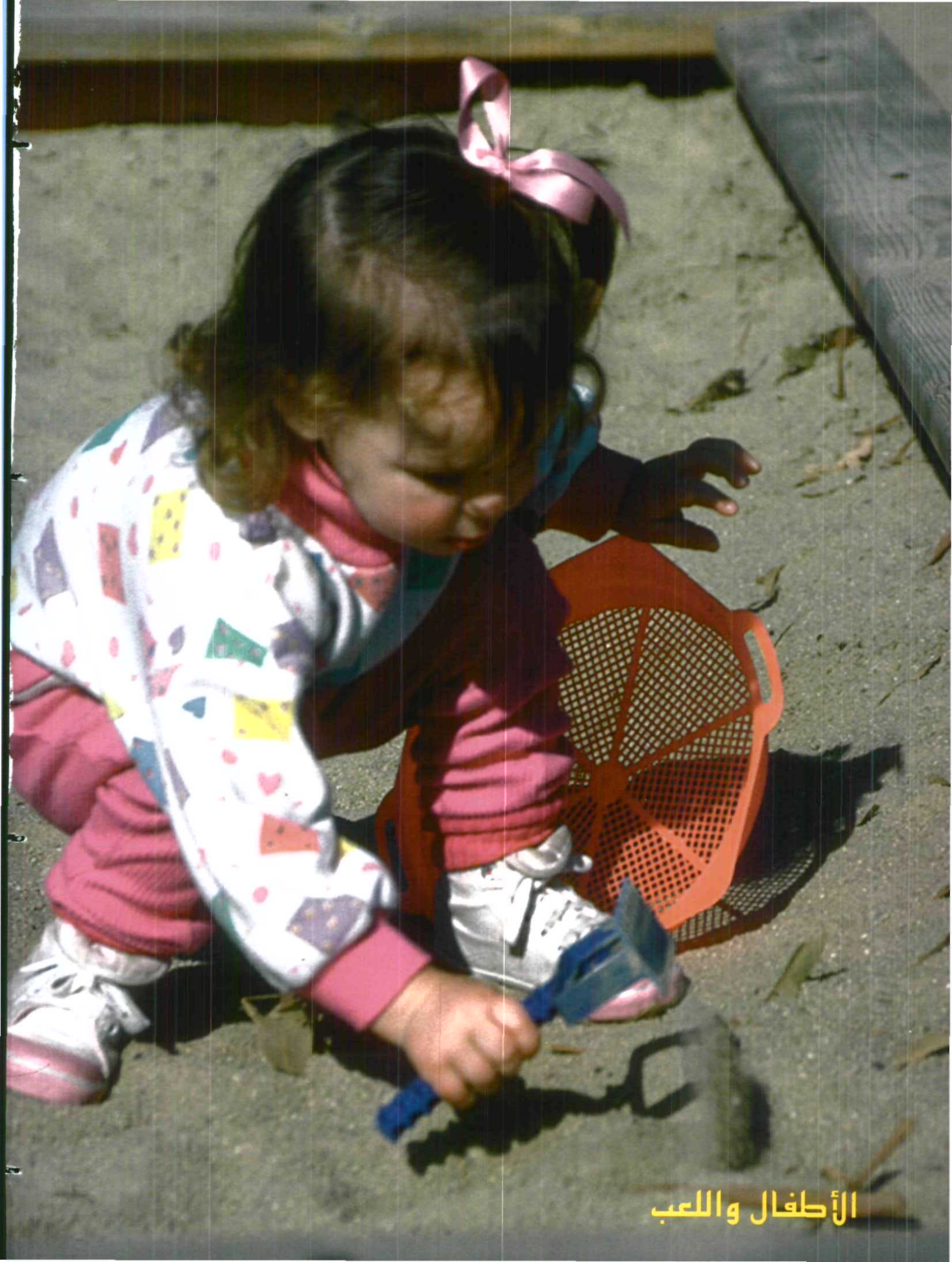
* حادث اصطدام لا حادث صدام :

كما نسمع غالبا أو نقرأ في وسائل الاعلام المكتوبة أو المرئية أو المسموعة، قولهم : قُتل فلان في حادث صدام.. وهذا خطأ لغوي، صوابه أن نقول : قتل فلان في حادث اصطدام أو تصادم أو صدم.

أما «الصدام» بكسر الصاد أو ضمها فهو داء في رؤوس الدواب. ويقال بأن «الصدام» هو ثقل يأخذ الانسان في رأسه. والصدام احد مصدري الفعل «صادم» بمعنى : دافع ■



ظـلال وألـوان


الأطفال واللعب